

## الفصل الرابع

### (العالم في طبيعيات الفارابي)

«عالم ما فوق فلك القمر وعالم الكون والفساد»

ويتضمن هذا الفصل العناصر الآتية:

تمهيد:

أولا: الأصول التي استقاها من سابقه.

ثانيا: العالم، موجوداته ومراتبها في الوجود.

ثالثا: أقسامه:

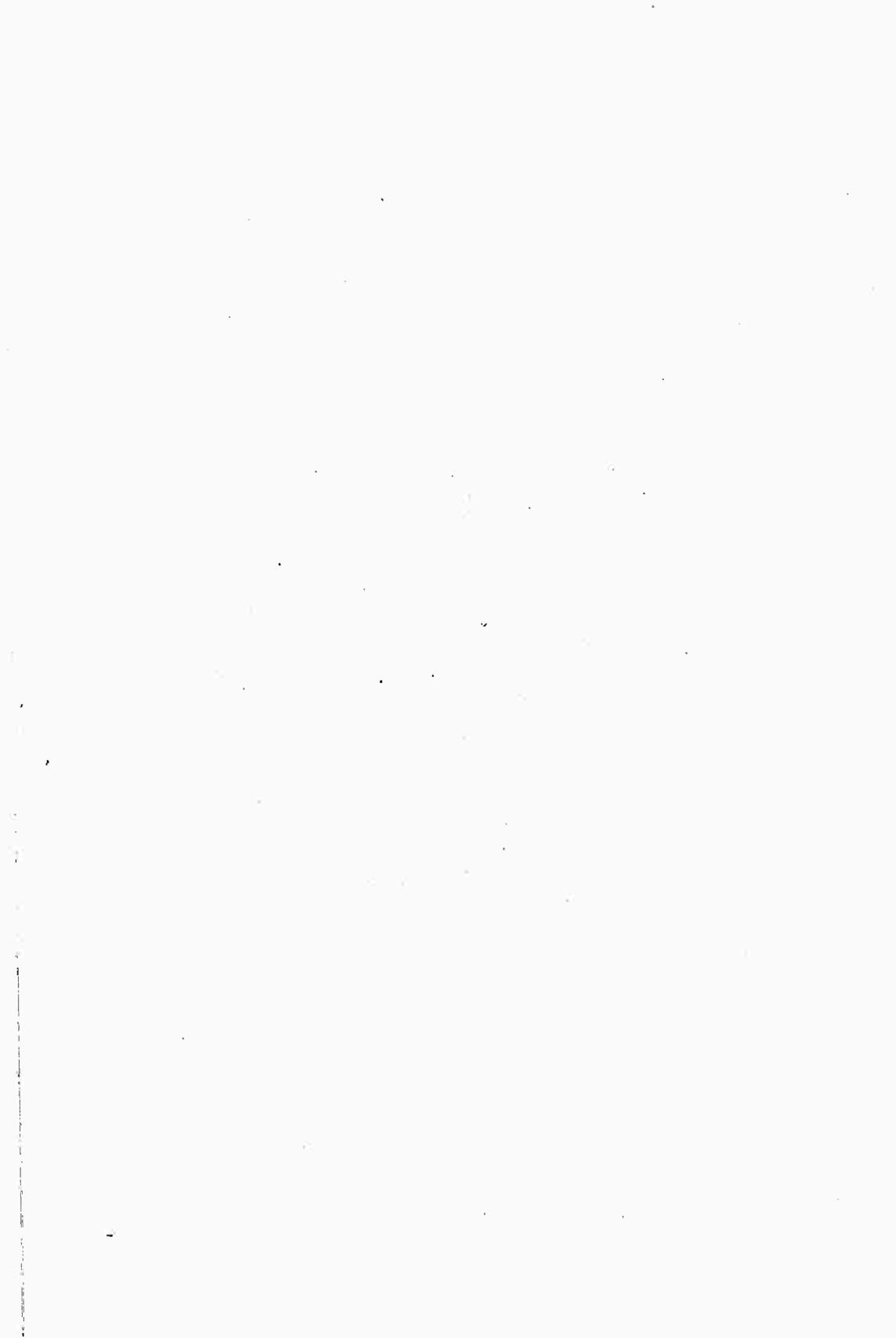
١ - عالم ما فوق فلك القمر.

٢ - عالم ما تحت فلك القمر.

رابعا: أثر العالم العلوي في العالم السفلي.

خامسا: كروية الأرض وثباتها في مركز الكون.

سادسا: العالم واحد متناه.



## تمهيد:

ذكرنا فيما سبق أن الفارابي عندما حدد أقسام العلم الطبيعي بين أن القسم الأول منها يجعل محور دراسته الوجود الطبيعي على وجه الإجمال. فتناولنا بالدراسة تكوين الأجسام وأثبتنا أنها مركبة من المادة والصورة، ثم أوضحنا العلاقة بين هذه الأجسام وبين عللها من ناحية، وكذلك بينها وبين لواحقها من جهة أخرى.

وبناء على نظريته في المادة والصورة فقد قسم الأجسام إلى بسيطة، ومركبة، وعرفنا أن البسيطة كما يقول الفارابي هي الأجسام التي وجودها لا عن أجسام آخر غيرها، أما المركبة فهي التي وجودها عن أجسام آخر غيرها. الأولى مثل السماوات، والأرض، والماء والهواء، والنار والثانية مثل المعادن، والنبات، والحيوان<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الفصل الذي يحمل عنوان «العالم في الفلسفة الطبيعية» سيكون هدفنا الكشف عن تطبيق هذه المبادئ والأسس العامة على موجود موجود من موجودات العالم حتى يتضح لنا خصائص كل موجود، ومرتبته في الوجود. فقد كان ذلك هو الأساس الذي وضعه الفارابي في اعتباره حين تبنى فكرة وضع العالم بين بعدين لا ثالث لهما وهما:

العالم العلوى أو عالم ما فوق فلك القمر.

والعالم السفلى أو عالم ما تحت فلك القمر.

وهي القسمة التي أخذها الفارابي عن أرسطو وارتضاها لنفسه، ثم انتقلت بعد ذلك إلى فلاسفة المشرق والمغرب.

الأول يقع من فلك القمر إلى آخر العالم وهو عالم الأفلاك التي توجد متحركة بحركة دورية، والثاني هو ما يقع من الأرض إلى فلك القمر وهو عالم الكون والفساد الذي تتميز أجسامه بأنها مركبة من العناصر الأربعة (الماء، والهواء، والنار، والتراب) وهي التي تتحرك على استقامة، الأول مادته الأثير وهذه المادة جسم ليس له ضد ولا يقبل أى نوع من الاستحالات الكمية أو الكيفية ولا يقبل الكون والفساد، بينما الثانى مادته العناصر الأربعة التى تتجه إلى فوق كالنار والهواء، وأما إلى أسفل كالارض والماء<sup>(٢)</sup>.

وبناء على هذا التقسيم فإننى سأتناول النظام الترتيبى الذى وضعه الفارابى لموجودات العالم «سواء كان عالم ما فوق فلك القمر، أو عالم ما تحت فلك القمر» وكيف أنه أقام هذا النظام على أساس فكرة الأفضل والأشرف وهى فكرة ميتافيزيقية بعدت به عن المجال الطبيعى الذى يفترض وجوده فى مثل هذه الدراسات.

وأخيرا فإن هناك حقيقة أخرى مفادها أن آراء الفارابى فى «عالم ما فوق فلك القمر» هى آراء تختلط فيها المبادئ الميتافيزيقية مع المبادئ الرياضية مع المبادئ الطبيعية. إذ أن الفارابى فى تحديده لعلم التعاليم أى «الرياضيات» والذى ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى يتحدث فى واحد منها عن علم النجوم التعليمى «أى علم الفلك» ويجعله يبحث فى الأجسام السماوية عن أشكالها ومقادير أجرامها، ونسب بعضها إلى بعض، وعن حركاتها بالقياس إلى الأرض وما إلى ذلك. يقول الفارابى «فعلم النجوم يفحص فى الأجسام السماوية وفى الأرض عن ثلاث جمل:

أولها: عن أشكالها (وأوضاع بعضها من بعض ومراتبها فى العالم) ومقادير أجرامها ونسب بعضها إلى بعض، ومقادير أبعاد بعضها

عن بعض، وأن الأرض ليس لها بجملتها انتقال لا عن مكانها ولا فى مكانها،

والثانية: عن حركات الأجسام السماوية كم هى، وأن حركاتها كلها كرية وما فيها يعم جميعها الكواكب منها وغير الكواكب، وفيها يعم الكواكب كلها ثم الحركات التى تخص كل واحد من الكواكب وكم كل واحدة من أصناف هذه الحركات والجهات التى إليها تتحرك وعلى أى جهة يتأتى لكل واحد منها هذه الحركة. . . . . الخ.

والثالثة: تفحص فى الأرض عن المعمورة منها وغير المعمورة وتبين كم هى المعمورة وكم أقسامها العظمى. . . . الخ<sup>(٣)</sup> ومن ناحية أخرى فإنه فى رسالته المسماة «فى الجهة التى يصح عليها القول فى أحكام النجوم» بين أن صناعة أحكام النجوم الصحيحة تستند إلى علوم التعاليم وعلوم الطبيعة ثم التجربة<sup>(٤)</sup>.

ومع ذلك ورغم هذا التداخل بين العلوم الرياضية والطبيعية والميتافيزيقية، إلا أن الفارابى يؤكد أن علم الطبيعة هو المختص بالبحث فى أمور الجسم الفلكى إذ يقول: «وأما الأجسام الفلكية فإنها لما كانت بسيطة ولم يعرض لها المزاج وسانت صورها موقوفة على موادها لم يكن يتعلق به نظر أخص منه «أى من العلم الطبيعى» الذى له موضوع يشمل على جميع الطبيعيات»<sup>(٥)</sup>.

أى أن البحث عن أسباب الحركات السماوية وطبيعة الأجرام الفلكية والآثار العلوية خارج عن موضوع علم الهيئة عند الفارابى وكثير من العرب كابن سينا وداخل فى الحكمة الإلهية والطبيعية.

وفى هذا الفصل سنجد الفارابى يدرس الأجسام سواء كانت فى عالم ما فوق فلك القمر أو عالم ما تحت فلك القمر من جهة حركتها ومن جهة تأليفها من العناصر، وعلى أساس الفوارق بين العالمين يدرس كل منهما فى قسم خاص مميزا بين أحكام كل واحد منهما وخصائص موجوداته، إلا أنه يصل فى النهاية رغم تقسيمه هذا إلى إثبات واحدة العالم بناء على نظريته فى المكان ونفى الخلاء.

كما اهتم ببيان تأثير العالم العلوى فى العالم السفلى أى تأثيرات أمكنة الكواكب فى كفيات الطبيعة الأرضية إذا لم يمنعها مانع كتسخينها مثلا<sup>(٦)</sup>.

أولاً: الأصول اليونانية والإسلامية التي استقاها الفارابي من سابقيه  
وأثره فيمن جاء بعده.

استفاد الفارابي استفادة كبيرة من دراسات الذين سبقوه في هذا المجال سواء من حيث تقريره لكثير من الآراء التي انتهى إليها، أو من حيث الطابع العام لنظريته التي تحكمها كما قلت المبادئ الرياضية والطبيعية والميتافيزيقية، أو حتى من حيث نقده لآراء البعض منهم والتي وجد أنها لا تتفق مع آرائه الخاصة بأحكام النجوم أو تأثيرها في العالم السفلي.

وإذا كنا سنعرض رأى الفارابي في نظريته في السماء والعالم فإننا سنحاول أن نبحث عن جذور هذه الآراء في المذاهب الفلسفية السابقة عليه وبالذات في الفلسفة اليونانية. ولقد كان تأثيره بالتراث اليوناني خاصة في هذا المجال تأثيراً تاماً بحيث لم يتح له إنشاء مذهب فيه عناصر جديدة خاصة به.

فإذا كان أفلاطون قد اهتم بدراسة الحركات السماوية وأثبت في «طيماوس» أن العالم كروياً مستديراً (وذلك على العكس مما ذكره في كتابه «الجمهورية» حيث تركنا حائرين إزاء هذه الصفة) وهو في «طيماوس» يجعل الأرض تجارى شكل الكل وقد احتلت منه موقع المركز، بينما نجد في «فيدون» يميل إلى القول بأنها ثابتة وبالتالي فهذا العالم كالكائن الحي الواحد فهو واحد ليس كثيراً، وهو صورة خلقت لغاية وهي تحاكي النموذج الأبدي الذي يعقله الله (٧).

وإذا كان «فيثاغورث» قد توصل قبله إلى إثبات كروية الرض مستندا إلى بعض الحجج الهندسية منها أن الشكل الهندسى الكامل هو الشكل الكروى لكمال انتظام أجزائه بالنسبة للمركز، ومنها أن الأجرام السماوية ومنها الأرض لا يمكن تصورهما إلا على هذا الشكل الكامل (٨).

فإن آراء كل من فيثاغورث وأفلاطون كانت هي الأساس الذي استند إليه الفارابى فى بحثه فى العالم العلوى. وقد أثبتنا سابقا أن بحثه فى السماء ليس بحثا طبيعيا صرفا وإنما هو بحث تختلط فيه العناصر الفلكية مع الرياضية، وهنا يظهر التأثير الفيثاغورى والأفلاطونى. هذا بالإضافة إلى تأثير الفارابى بفكرة العدد الفيثاغورية فى تحديده لعدد العقول والأجسام السماوية فى عالم ما فوق فلك القمر، كما أنه تأثر بأفلاطون فى تقسيمه للعالم إلى عالمين: عالم عقلى، وعالم جسى، وإن كان الفارابى قد جعله عالما واحدا وإنما جعل موجوداته على مراتب وكذلك جعل العقول مراتب<sup>(٩)</sup>.

أما بالنسبة لأرسطو فقد وضع لنا تماما كيف أن دراسته الشاملة للسماء والعالم وتقسيمه العالم على أساس فلك القمر (عالم ما فوق فلك القمر، وعالم ما تحت فلك القمر) ثم تحديده لخصائص كل عالم منهما، وصفات موجوداته ومراتبها وتكوينها وحركاتها، ثم إثباته كروية العالم ليتحقق التماثل والتوازن، وتأكيد ذلك بكثير من الحجج التى تعتمد على الملاحظة والمشاهدة أو الاستنباط من مبادئ العلم الطبيعى حتى يصل إلى إثبات كروية الأرض وينتهى إلى إثبات أن العالم واحد اعتمادا على نظريته فى أماكن العناصر وحركاتها على أساس العلل المحركة لها. أقول كل هذه الأصول كان لها تأثيرها الفعال على نظرية الفارابى فى السماء والعالم وعلى سبيل المثال فإذا كان الفارابى قد أثبت كروية الأرض بناء على كروية العناصر حيث يقول «وشكل كل واحد من الأربعة على شكل الكرة» ويقول أيضا «والعالم يركب من بسائط صائرة كرة واحدة» فإن هذا الإثبات مستمد أساسا من قول أرسطو «إذا تركنا جزءا من المادة لننقله فإنه يتهاى بهيئة الكرة، وإذا كانت الأرض ساكنة فإن شكلها بالتالى يكون كرويا»<sup>(١٠)</sup>.

ورغم هذا التاثر الواضح إلا أننا سنجد أن المعلم الثانى خالف المعلم

الأول فى بعض الأمور حيث كان الفارابى متأثراً فيها بعناصر إسلامية كسمية عالم ما فوق القمر «بعالم الأمر» وعالم ما تحت فلك القمر بعالم الخلق»<sup>(١١)</sup>.

هذا بالنسبة لأفلاطون وأرسطو، أما بالنسبة لتأثره بالأفلاطونية المحدثة فإننا نلاحظ هذا التأثير فى كثير من المبادئ التى استقاها الفارابى خاصة فى نظرية الفيض. وقد بنى الفارابى نظام الكون بأسره على نظرية الفيض، والكون وفقاً لهذا النظام مركب من أفلاك كروية بعضها داخل بعض وتقدر عدد هذه الأفلاك بتسع أجرام فلكية، ولكل جرم منها عقل ونفس، أما العقل العاشر وهو العقل الفعال فى معنى بعالم ما تحت فلك القمر.

فحديثه إذن عن عقول الكواكب ومراتب العقول وصدور العالم على هيئة فيض، وخلعه صفات معينة على الأفلاك السماوية، منها تأثيرها فى إيجاد الأجسام فى عالم الكون والفساد. كل هذا يؤكد مدى تأثره بأفلوطين وأفلاطونيته المحدثة فى تقريره لنظرية الفيض التى تعتبر نقطة الالتقاء بين الطبيعيات من جهة عدد الأفلاك وتأثيرها، وبين العقول العشرة ومراتبها والتى هى ضرب من الميتافيزيقا من جهة أخرى<sup>(١٢)</sup> إذ أن هذه النظرية تفسر كيف صدرت الكثرة عن الوحدة، بمعنى أن الطبيعى إذا كان يسأل عن كيفية صدور الكثرة عن الوحدة فإن الإجابة على ذلك تكون من جانب الميتافيزيقى<sup>(١٣)</sup>.

فإذا تركنا فلاسفة اليونان وانتقلنا إلى فلاسفة الإسلام ومتكلميه، فإن الفارابى لا يعدم أثراً إسلامياً كان له شأنه الكبير فى تعديل بعض الآراء اليونانية بما يتفق مع طبيعة الأثر.

فالمتكلمون سواء كانوا معتزلة أو أشاعرة أو من أهل السلف، ثم الكندى فيلسوف العرب كانوا ممن سبق الفارابى. فهل استفاد الفارابى منهم خاصة فى هذا المجال الطبيعى؟

بالنسبة للمتكلمين نجد أن الساحة الإسلامية التي عاش فيها الفارابي شهدت صراعهم وانقسامهم واختلاف آراءهم مما كان له أثره على بعض القضايا الفكرية التي آمن بها الفارابي سواء كان هذا الأثر سلبياً أى بالنقد، أو إيجابياً أى بالأخذ منهم، ولذا إلى آراء بعض المتكلمين السابقين عليه ونقده لهم في بعض الآراء الخاصة بالسماء والعالم، وإن كان هذا الأثر يعد ثرا ضئيلاً وهو يظهر بصورة واضحة في مجال الإلهيات أكثر من مجال الطبيعيات وما ذلك إلا لأن المتكلمين لم يكن لهم مذهب خاص في الطبيعيات. وهم وإن بحثوا في الطبيعة فلا يمكن عددهم فلاسفة طبيعيين لأنهم أولاً أساءوا فهم هذا المعنى فمعظمهم على أن الطبيعيين زنادقة لا يقرون بخالق العالم أو بوجوده (١٤).

كما أن دراسة الطبيعة عندهم ثانياً لم تكن مقصودة لذاتها، وإنما كان الدافع الأساسي لأبحاثهم كلها تفهم الدين والدفاع عنه. وهذا اقتضى منهم دراسة المشاكل التي كان يثيرها خصومهم ومنها المشاكل المتعلقة بالطبيعة.

والفارابي وإن تأثر بهم من ناحية الهدف من حيث إنه بحث في الطبيعيات، وتناول موضوعات السماء والعالم بالدراسة والبحث للوصول إلى خالق هذا العالم وإثبات فاعليته في الكون وتدبيره شئونه، إلا أنه خالفهم في المنهج الذي اعتمد عليه. فبينما يسعى الفلاسفة دائماً إلى البرهان ويستندون إلى العقل من أجل الوصول إلى الحقيقة؛ نجد المتكلمين على العكس من ذلك يحصرون أقوالهم في دائرة جدلية وإن كان النص رائدهم (١٥).

ورغم أن الفارابي لم يذكر في مؤلفاته «الكندى» فيلسوف العرب، ولم يشر مطلقاً إليه إلا أنه يبدو أنه تأثر به على وجه العموم. فقد بحث الكندي في طبيعة الفلك في رسالة له بعنوان «الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد» ورأى أن هذه الطبيعة مخالفة لسائر العناصر فجسمه لا حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس ولا يعرض فيه الكون والفساد وأنه غير مركب من نار

وماء وهواء وأرض لأن حركته لما كانت مستديرة فلا يمكن أن يكون مركب من هذه العناصر الأربعة المتحركة على استقامة<sup>(١٦)</sup>.

ورغم تأثر الفارابى بما ورد لدى الكندى من آراء فى هذا المجال إلا أنه خالفه فى موقفه من صناعة التنجيم، فبينما يقبل الكندى أصل دلالة أحكام النجوم على ابتداءات الأعمال ويرى أن سبب استعمال الرموز فى كتب المنجمين هو حصر منافع أحكام النجوم فى أهل العلم والمستحقين، يرفض الفارابى هذا الأصل ويحكم أنه إما أن يقبل الإنسان أن صناعة النجوم صناعة صحيحة وهذا يتطلب القول أن الأسماء الرمزية ليست إلا مثالات لأموال تعاليمية وطبيعية، وإما أن يقول أنها تعنى الأشياء التى اعتدنا أن نفهمها عنها.

وهكذا فصناعة أحكام النجوم كما يفهمها الكندى ليست صناعة طبيعية بل صناعة يحكم بها المنجم على سعد ونحو ابتداءات الأعمال اللاإرادية التى تكون عن فكر وروية بينما يحصر الفارابى آثار النجوم على الأشياء الطبيعية التى قد تصل إلى مزاج الإنسان الطبيعى ولكنه يرفض رفضا باتا إن صح الحكم من جهة الأجسام السماوية على الإرادات التى تكون عن الروية والفكر الصحيح<sup>(١٧)</sup>.

ولكن إذا كان الفارابى قد تأثر بمن سبقه سواء من فلاسفة اليونان، أو فلاسفة الإسلام فى تقريره لنظريته فى السماء والعالم. فإن أثره فيمن جاء بعده من الفلاسفة كان تأثيرا لا حد له.

ولقد ظهر هذا التأثير أول ما ظهر على معاصرى الفارابى «إخوان الصفا» فقد بحثوا فى رسائلهم مسائل السماء والعالم كمعرفة جواهر الأفلاك وكميتها، وكيفية تركيبها، وعلة دورانها، وعلة حركات الكواكب والأفلاك، وعلة سكون الأرض فى وسط الفلك<sup>(١٨)</sup>.

ولا شك أن معظم هذه الأمور قد بحثها الفارابى من قبل وبشئ من التفصيل فى نظريته فى السماء والعالم وفى ذلك يقول المستشرق الفرنسى ديلاس أوليرى «أما رسائلهم (أى رسائل إخوان الصفا) فى الميتافيزيقا، وعلم النفس، والإلهيات والفيض والنفس الكلية والعالم فهذا كله ليس إلا إعادة لتعاليم الفارابى والأفلاطونية المحدثة وربما أضيف إليها ألوان طفيفة من التصوف. وعلى سبيل المثال فالله عندهم خارج الكون أو فى عالم لا يعرفه الإنسان، وحتى العقل موجود أيضا فى عالم هو غير العالم الذى تعيش فيه النفس البشرية، أما النفس الكلية التى تتخلل الأشياء كلها فهى فيض من الروح وهذه الروح بدورها تفيض من الله.

وبمقارنة هذا القول بتعاليم الفارابى نرى أنها مبنية على نفس المادة (١٩).

كذلك ظهر هذا التأثير على فيلسوف المشرق «ابن سينا» ذلك الفيلسوف الذى أقام مذهبه بالكامل على دعائم المذهب الفارابى حتى أن «أوليرى» يقول «وليس من الصعب المبالغة فى تقدير أهمية الفارابى، فالواقع أن كل ما نلقاه فيما بعد عند ابن سينا وابن رشد موجود فعلا فى صلب مادة تعاليم الفارابى» (٢٠).

أما تأثيره بالفارابى فى مجال دراسة أحوال العالم سواء كان عالم ما فوق القمر أو عالم ما تحت فلك القمر فقد عرضه بصورة واضحة «د. عاطف العراقى» فى كتابه «الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا» إذ يقول «أما الفارابى فقد سبق أن بينت أنه قال بحركة خاصة للأفلاك السماوية تختلف تماما عن حركة العناصر الأرضية، كما أن الكثير من رسائله قد تناول موضوعات السماء والعالم بحيث يمكن القول بأن دراساته هذه أفادت فيلسوفنا «يقصد ابن سينا» أكبر الفائدة.

فالفارابى فى معرض بيانه لأحكام الأفلاك قد درس العناصر وصفاتها  
وبين أنها أربعة، كما أثبت أن الأجرام السماوية وإن شاركت المواد الأربع فى  
تركيبها من مادة وصورة فإن مادتها مخالفة لمادة الأركان الأربعة، كما أن  
حركتها وضعية دورية، أما الحركات الكائنة الفاسدة فإنها مكانية مستوية وعلى  
ذلك فهى مستقيمة وليس لحركته ضد.

ويعقب على ذلك بقوله «وسنجد كيف أن هذه الصفات كلها سيأخذها  
ابن سينا عن الفارابى ويقررها كأحكام للأفلاك، كما قرر وجود العناصر  
الخاصة بعالم ما تحت فلك القمر حتى أن «الطوسى» شارحه الكبير قد أشار  
إلى أنه قد حاذى فى ذلك كلام الفارابى» (٢١).

ولم يقف تأثير الفارابى على فلاسفة المشرق فحسب، بل امتد هذا  
التأثير وشمل فلاسفة المغرب والأندلس ابتداء بابن باجة ثم ابن طفيل ثم ابن  
رشد، كما كان له تأثيره الكبير على الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون.

فابن باجة يعتبر من فلاسفة المغرب الذين ساروا فى منهجهم فى  
الطبيعيات على الخط المشائى الذى نقل إلى البيئة الإسلامية، وهو كثيرا ما  
يذكر الفارابى ويستدل بآرائه وبراهينه خاصة فى مسائل السماء والعالم (\*).

وأما ابن طفيل فمما لا شك فيه أن المدارس لقصة «حى بن يقظان»  
يلاحظ أنه سواء فى دراسته للآراء التى تدخل فى مجال الطبيعة، والآراء التى  
تدخل فى إطار الإلهيات قد استفاد استفادة كبيرة من الآراء التى سبق أن  
توصل إليها فلاسفة قدامى خاصة أرسطو، وفلاسفة مسلمين كالفارابى وابن  
سينا كما كان مستفيدا بالذات من المعلم الثانى «الفارابى» فى فصله بين  
الأحكام التى تنطبق على العالم العلوى والأحكام التى تنطبق على العالم  
السفلى (٢٢).

فالفارابي في أكثر من كتاب من كتبه يدرس طبيعة الأجرام السماوية،  
ويبين لنا أن الأجرام وإن شاركت المواد الأربعة في تركيبها من مادة وصورة إلا  
أن مادتها مخالفة لمادة العناصر الأربعة، كما أن حركتها وضعية دورية. أما  
الحركات الكائنة الفاسدة فهي مكانية مستوية. وعلى ذلك يكون طبع الفلك  
طبع خامس لا حار ولا بارد ولا ثقيل ولا خفيف وليس فيه مبدأ حركة  
مستقيمة وليس لحركته ضد. وهذه الأحكام هي التي أقام عليها ابن طفيل  
مذهبه في السماء والعالم (٢٣).

فإذا انتقلنا إلى «ابن رشد» وجدنا أنه يذكر كتاب «الفلسفتين للفارابي»  
في كتابه «تفسير ما بعد الطبيعة» ويشير إلى بعض المواقف التي ربما يكون  
المعلم الثاني قد خالف فيها المعلم الأول (٢٤). كما أنه وقف من فلسفة  
الفارابي موقف الناقد المدرك لعمق الفكر الفارابي. حتى أنه في نقده لآراء  
الفلاسفة القائلين بالفيض ومنهم الفارابي يستند في نقده إلى التمييز بين العالم  
العلوي (عالم ما فوق فلك القمر) والعالم السفلي (عالم ما تحت فلك  
القمر). ويرى أننا يمكن أن نصعد من العالم السفلي إلى العالم العلوي عن  
طريق بيان تأثير العالم العلوي في العالم السفلي، ثم الصعود من العالم  
العلوي إلى الله تعالى الذي يخرج ما هو بالقوة إلى ما هو بالفعل ودون أن  
تكون مضطرين إلى القول بترتيب العقول على النحو الذي قال به الفارابي  
وابن سينا (٢٥).

كذلك كان تأثير الفارابي على فيلسوف الأندلس «موسى بن ميمون»  
تأثيرا كبيرا، ويشير ناشر كتاب «دلالة الحائرين» إلى بعض المسائل الفلسفية  
بين «أبي نصر الفارابي» وبين «موسى بن ميمون» مما يبين تأثر فلاسفة اليهود  
بالثقافة والأفكار الإسلامية، وهذا يؤكد أهمية الدور الذي لعبته الحضارة  
الإسلامية في تاريخ الحضارة العالمية.

ويظهر هذا الأثر بصورة واضحة حين نقرأ «كتاب دلالة الحائرين» لموسى بن ميمون، وحتى في مناقشاته لنصوص «التوراة» نجد أن هذه المناقشة تصدر عن مفكر تأثر بفلاسفة الإسلام والثقافة الإسلامية.

ولقد كانت موضوعات الفلسفة الإلهية من فلسفة الفارابي هي المجال الرئيسي الذي تأثر به «ابن ميمون». ولكن ذلك لم يمنع أنه تأثر أيضا بموضوعات الفلسفة الطبيعية خاصة في بيان خصائص وأحكام الأفلاك، وكيفية تأثير العالم العلوى في العالم السفلى وإيجاد موجوداته. كذلك استعار موسى بين ميمون تشبيه الفارابي للعالم وأجزائه بجسم الإنسان حيث نجده يقول «وكما أن في جسم الإنسان أعضاء رئيسه وأعضاء مرؤوسة مفتقرة في بقائها لتدبير العضو الرئيس الذى يدبرها كذلك فى العالم بجملته أجزاء رئيسه وهو الجسم الخامس المحيط وأجزاء مرؤوسة مفتقرة لمدير وهى الأسطوانات وما يتركب منها، وكما أن العضو الرئيس هو القلب متحرك دائما وهو مبدأ كل حركة توجد فى الجسم، وسائر أعضاء الجسم مرؤوسة منه وهو يبعث لها قواها التى تحتاجها لأفعالها بحركته، كذلك الفلك هو المدير للسائر أجزاء العالم بحركته، وكل حركة فى العالم مبدأوها حركة الفلك، وكل نفس توجد لذى نفس فى العالم مبدأوها نفس الفلك» وما ورد فى نص ابن ميمون هو بعينه ما ذكره الفارابي فى كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة مما يبين عظم تأثير الفارابي عليه (٢٦).

وهكذا نجد اسم فيلسوفنا يتردد بلا انقطاع عند فلاسفة العرب وغير العرب سواء عند من تابعه منهم أو من خالفه مما يؤكد المكانة التى تسبأها الفارابي واستحقق بها أن يكون المعلم الثانى.

## ثانياً: العالم (موجوداته ومراتبها فى الوجود):

يقول الفارابى «المبادئ التى بها قوام الأجسام والأعراض التى لها ستة أصناف لها ست مراتب عظمى كل مرتبة منها تحوز صنفاً منها:

السبب الأول: فى المرتبة الأولى.

الأسباب الثانوى: فى المرتبة الثانية.

العقل الفعال: فى المرتبة الثالثة.

النفس: فى المرتبة الرابعة.

الصورة: فى المرتبة الخامسة.

المادة(\*) : فى المرتبة السادسة.

وإذا كانت الموجودات الثلاث الأولى تتميز بأنها ليست أجساماً ولا هى فى أجسام، فإن الثلاثة الأخيرة منها تتميز بأنها ليست هى أجساماً ولكنها فى أجسام أو مخالطة للأجسام.

وتتصف هذه الموجودات سواء كانت ليست فى أجسام، أو فى أجسام بأنها موجودات روحية عقلية.

وسنرى أن الفارابى قد اهتم بهذه الموجودات الروحية لأن موضوع الفيض أو الصدور يتبلور حولها بصفة خاصة (سنتناول ذلك بالتفصيل فى الفصول الخاصة بالفلسفة الإلهية).

وبواسطة فعل الفيض يصدر عن السبب الأول (الله) جملة من العقول تسع عقول فى المرتبة الثانية من ترتيب الفارابى لموجودات العالم العلوى ويسمىها «الأسباب الثانوى» وكل واحد من هذه العقول مسئول عن وجود فلك ونبس، فتتكون الأجسام السماوية وتكون عالم ما فوق فلك القمر

بالإضافة إلى العقل الفعال وهو العقل العاشر آخر العقول السماوية. إلا أن هذا العقل لا يصدر عنه شيء لأنه الواسطة بين هذا العالم، وعالم ما تحت فلك القمر (٢٧).

هذا عن مراتب الموجودات الروحية أو العقلية، أما مراتب الموجودات المادية فهي ست مراتب إذ يقول " والأجسام ستة أجناس: الجسم السماوي، والحيوان الناطق، والحيوان غير الناطق، والنبات، والجسم المعدني، والأسطقسات الأربع، والجملة المجتمعة من هذه الأجناس الستة من الأجسام هي العالم " (٢٨).

فإذا كانت الموجودات المادية تبدأ بالجسم السماوي فإن هذا الجسم أو الفلك كما يطلق عليه الفارابي يتكون من تسعة أجرام أو كواكب يلتف بعضها حول البعض وهي مراتب أيضا، فنجد أولا كرة السماء الأولى، يليها كرة الكواكب الثانية، فكرة زحل، فكرة المشتري، فكرة المريخ، فكرة الشمس، وكرة الزهرة، وكرة عطارد، ثم كرة القمر.

وعند كرة القمر ينتهي فيض الأجسام السماوية أو الموجودات المطلقة التي تقع تحت تأثير عالم الكون والفساد، لأن السماء الأولى هي أعلى الأفلاك، وكرة القمر أدناها وجميع هذه الأفلاك محيطة بالأرض، والأرض ثابتة في المركز.

ونلاحظ أن كل كوكب يفعل فيما تحته ولكنه يفعل أيضا بما فوقه، فهو فاعل من حيث إنه ينقل صور الأشياء إلى الكوكب الذي يليه، وهو منفعل من حيث إنه يتقبل صور الأشياء، أما الكوكب الوحيد الذي يفعل دون أن يفعل فهو ذلك الأثير فهو فاعل في الكل، إلا أن طبقات الأفلاك كلها تأخذ أفعالها كلها من المحرك الأول لهذا العالم فنجد أولا: كرة السماء الأولى يأخذ فاعليته من المحرك الأول، ثم يلي ذلك كرة الكواكب الثابتة وباقي

الكواكب مرتبة حسب الأشرف والأفضل طبقا لقربها من المحرك الأول وهو سبب الأسباب والغاية القصورى التى يؤمها كل الموجودات .

وهكذا يمكن القول بأن الفلك هو الفاعل لما تحته دائما .

ثم تأتى الأجسام الأدمية فى المرتبة الثانية (الحيوانات الناطقة)، ثم أجسام بقية الحيوانات (غير الناطقة) فى المرتبة الثالثة، ثم أقسام النبات فى المرتبة الرابعة، ثم فى أجسام المعادن فى المرتبة الخامسة، ثم الأسطقات الأربعة (الماء - النار - الهواء - التراب) فى المرتبة السادسة .

فإذا كان الكون بأسره كما مر بنا يتكون من الموجودات العقلية والموجودات المادية، فإن العالم سواء كان العالم العلوى وهو عالم ما فوق فلك القمر، أو العالم السفلى وهو عالم ما تحت فلك القمر يتكون أساسا من الأجسام الستة المادية التى ذكرناها سابقا، إذ يقول "والجملة المجتمعة من هذه الأجناس الستة من الأجسام هى العالم" (٢٩) ويقصد بالعالم هنا العالم الحسى لأن مراتب موجوداته مادية حسية .

ونلاحظ أن هذا النظام الترتيبى الذى اتبعه الفارابى فى ترتيب موجوداته لم يكن ترتيبا عشوائيا، بل كان ترتيبا "يخضع لنظام الترقى والتدرج صعودا حتى يبلغ كل نوع أقصى كماله، وسوف نلاحظ أن الموجودات تحت فلك القمر تبدأ بالهولى الأولى المشتركة وهى التى لا صورة لها وتلك تمثل أدنى مراتب الموجودات، وفوقها العناصر الأربعة، ثم الجمام ويليها النبات، فالحيوان، ثم الحيوان الناطق" (٣٠)، وكل مرتبة مختلفة تماما عن الباقيات فى التكوين الطبيعى .

وهذا التدرج يتفق مع المراتب السابقة لمكونات العالم المعقول من حيث النزول تدريجيا من المعقول إلى المحسوس وقد رتبته الفارابى على هذا الأساس

ليبين درجات الوجود والكائنات من حيث البعد عن العقلانية والقرب من المادية .

كما نلاحظ أن الأجرام السماوية وضعت على رأس مراتب العالم المحسوس لبيان ما لهذه الأجرام من تأثير في الموجودات، التي تلبها، وكأنها حلقة اتصال بين المعقولات والموجدات الصرفة، وبين الماديات والمحسوسات الصرفة<sup>(٣١)</sup> .

أما عن طبيعة الأجسام التي يلتئم منها العالم فيذكر الفارابي في شرحه لفلسفة "أرسطو طاليس" أن عدد الأجسام البسيطة الأول التي يلتئم منها العالم "خمسة" منها الجسم الأقصى الذي يتحرك حركة مستديرة، ومنها الأربعة الباقية المشتركة في مادتها ومتباينة بصورها، إذا كان الجسم الأقصى هو السبب في وجود تلك الأربعة، ودوام وجودها وأوضاعها، فإن الأسطقات الأربعة هي التي منها يتكون سائر الأجسام التي تحت ذلك الجسم الأقصى الذي طبيعته الأثير، "أما تلك الأسطقات الأربعة التي يتكون بعضها من بعض ولا تتكون هي عن جسم أبسط منها ولا عن جسم أصلا فهي الجواهر الأولى الطبيعية"<sup>(٣٢)</sup> .

ولقد اهتم الفارابي ببيان تأثير العالم العلوي في العالم السفلي وذلك عن طريق العقل الفعال والجسم السماوي، ولاشك أن المفكرين المسلمين منذ الكندي ومروا بالفارابي وابن سينا حتى نصل إلى ابن خلدون، كانوا يشيرون دائما إلى ما يوجد من تأثير العالم العلوي في العالم السفلي من حيث تحديد الطباع، والأخلاق، والأنواع، والنباتات، والمعادن والحيوان بحسب قرب أو بعد هذا المكان من الأجرام السماوية المؤثرة وخاصة فلك القمر، إذ أن العقول السماوية وفقا لنظرية الفيض الفارابية تنتهي إلى عقل فعال واحد مجرد عن

المادة يكون سببا لوجود الأنفس، وعلّة لوجود الأركان الأربعة بواسطة الأفلاك.

وتلعب الأفلاك هنا دورا رئيسيا فى عالم الكون والفساد من حيث إن الحركة الدورية الصادرة عنها تكون سببا فى اشتراك العناصر الأربعة فى عنصر واحد، كما أن تباين حركاتها بسبب اختلاف الصور الأربع وتغيرها من حال إلى حال بسبب تغير المواد الأربع ذاتها ويحدث عن ذلك الكون والفساد فى العالم (٣٣).

ونلخص من هذا إلى أن الفارابى قد قسم الكون وفقا لأصناف موجوداته وخصائصها قسمة ثنائية إلى:

العالم العقلى أو الروحى، والعالم المادى أو الحسى، وقد وضع لنا مدى الارتباط بين العالمين فلا انفصال بينهما، ومن ناحية أخرى فإن الفارابى يورد تقسيما آخر للعالم فى كتابه " فصول منزعة " يقسم فيه العالم وفقا لموجوداته أيضا قسمة ثلاثية فيقول: " وأجناس الموجودات ثلاثة: البريئة عن المادة، والأجسام السماوية، والأجسام الهيولانية، والعوالم ثلاثة: روحانية، وسماوية، وهيولانية " .

فالروحانية: من طبيعتها أنها لا يمكن أن يوجد ولا فى وقت أصلا .

أما السماوية: فهى فى طبيعتها وجوهرها أنها توجد حيناً .

أما الهيولانية: فهى فى القسم الذى يمكن أن يوجد وألا يوجد .

ويرى الفارابى أن أفضلها وأشرفها وأكملها ما لا يمكن أن لا يوجد

أصلا . وأخسها وأنقصها ما يمكن أن يوجد وألا يوجد، أما الذى لا يمكن

أن لا يوجد فى حين ما فهو متوسط بينهما فإنه أنقص من الأول وأكمل من

الثالث (٣٤).

وسواء صنف الفسارابي موجودات العالم في صنفين أو ثلاثة أصناف، فإنه قد قسم العالم من حيث الخصائص والأحكام إلى: عالم ما فوق فلك القمر، وعالم ما تحت فلك القمر وهو ما سنوضحه في القسم التالي.

\*\*\*

## ثالثاً: العالم.. أقسامه

القسم الأول: العالم العلوى (عالم ما فوق فلك القمر)

١ - طبيعته:

بحث الفارابى فى طبيعة الفلك أو الأجسام السماوية، وبين أنها مخالفة لسائر العناصر، ذلك أنها فاضت عن "العقول الثوانى" فأول هذه العقول يلزم عنه وجود السماء الأولى كما ذكرنا إلى أن ينتهى إلى السماء الأخيرة أو كرة القمر.

وجوهر كل واحد من هذه الأجسام مركب من شيئين: من موضوع، ومن نفس،. إلا أن أنفسها مباينة لأنفس الكائنات الحية فى النوع، وهى مفردة عنها فى جواهرها. وبها تتجوهر الأجسام السماوية وعنها تتحرك دوراً، وهى أشرف وأكمل وأفضل وجوداً من أنفس أنواع الحيوان التى لدينا، وذلك أنها لم تكن بالقوة أصلاً ولا فى وقت من الأوقات. بل هى بالفعل دائماً من حيث إن معقولاتها لم تزل حاصلة فيها منذ أول الأمر، ومن حيث إنها تعقل ما تعقله دائماً<sup>(٣٥)</sup> فتعقل ذاتها، وتعقل الثانى الذى صدرت عنه وتعقل الأول.

وهذه الأنفس توجد فى موضوعات لكنها متبرئة من أنحاء النقص التى فى الصورة والمادة ولما كانت فى موضوعات فهى تشبه الصور من هذه الجهة. غير أن موضوعاتها ليست فى مواد بل كل واحدة منها مخصوصة بموضوع لا يمكن أن يكون ذلك موضوعاً لشيء آخر غيرها<sup>(٣٦)</sup>.

وهى من مراتب الموجودات فى أول مراتب النقص لأن الشيء الذى تتجوهر به بالفعل يحتاج ضرورة إلى موضوع - كما ذكرنا سالفاً - إلى جانب أنها غير مكتفية بجواهرها فى أن يحصل عنها شيء آخر غيرها.

ورغم أن هذه الجواهر ذات أعظام محدودة وأشكال محدودة وذوات  
 كيفيات محدودة إلا أنه صار لها من كل ذلك أفضلها فصار لها أفضل  
 الأمكنة، أما أشرف وجوداتها فقد وفيت من أول الأمر إذ يقول "أنها أعطيت  
 أفضل ما تتجوهر به من أول أمرها وكذلك أعظامها وأشكالها والكيفية المرتبة  
 التي تخصصها<sup>(٣٧)</sup> وهو هنا يساير أرسطو الذي يقول "والفلك جرم شريف  
 إلهي جدًا ومتقدم قبل هذه كلها (أي سائر الموجودات) تقدمًا كبيرًا"<sup>(٣٨)</sup>.

ورغم أنها وفيت أكثر وجوداتها على التمام، إلا أنه بقي منها شيء  
 يسير ليس من شأنها أن يعرض لها دفعة من أول الأمر بل يوجد لها شيئًا  
 فشيئًا في المستقبل، ولذلك فهي تسعى لتتأله بدوام الحركة فلا تنقطع حركتها  
 وهي تتحرك وتسعى إلى أحسن وجودها<sup>(٣٩)</sup>.

ولكن إذا كانت الأجرام السماوية دائمة الحركة فما هو مصدر حركتها؟  
 وهل هي صادرة عن جهة الحس أو التخيل أم من جهة التصور الذي يكون  
 بالعقل؟.

يرى الفارابي أنه من الممتنع أن يكون للجرم السماوي حواس، إذ  
 وضعت الحواس في الحيوان من أجل السلامة. وما يقال عن الحواس يقال عن  
 التخيل هذا بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن يكون تخيل دون حس. ولو كانت  
 حركة هذا الجرم عن الحواس أو عن التخيل لم تكن حركته واحدة  
 متصلة<sup>(٤٠)</sup>. وإذا كان ذلك كذلك لم يبق إلا أن يكون حركته عن الشوق فإن  
 تحركه ليس للداع أو لغرض شهوانى أو غضبى بل للشوق إلى التشبيه بالمبادئ  
 العقلية المفارقة حتى يظل باقياً على الفعل ويلزم عنه تكوين ما بعده<sup>(٤١)</sup>.

وعلى هذا فحركتها واحدة متصلة، والأجرام السماوية ليس لها من  
 قوى الأنفس سوى العقل، والقوة الشوقية أى الحركة فى المكان "لما كان  
 الفلك كامل فى كل شىء، إلا فى وضعه وأينه، فإنه يدرك هذا النقصان فيه

بالحركة" (٤٢). والجسم السماوى من جوهره وطبيعته وفعله أن يلزم عنه أولاً وجود المادة الأولى، ثم بعد ذلك يعطى المادة الأولى كل ما فى طبيعتها وإمكانها واستعدادها أن تقبل الصورة كائنة ما كانت (٤٣) كما أنه من طبيعتها ألا يتأخر عنها فعلها لأن الأجسام السماوية فى جواهرها على كمالاتها الأخيرة، والشئ إذا كان على كماله الأخير " وكان من شأنه أن يصدر عنه فعل لم يتأخر عنه فعله، وحصل من ساعته بلا زمان، وقد يتأخر فعل ما هو على كماله الأخير بعائق من خارج ذاته وذلك مثل أن يعاق ضوء الشمس على الشئ المستتر بعائط، ولكن نظراً لأنه لا أصداد لها ولا لموضوعاتها فلا عائق لها بوجه أصلاً ولذلك لا يتأخر عنها فعلها.

والأجسام السماوية إذا كانت ليست متضادة فى جواهرها، إلا أن نسبها من المادة الأولى نسب متضادة وهى منها بأحوال متضادة. إذ تلحق الأجسام السماوية لاختلاف أوضاع بعضها من بعض ولأجل اختلاف أوضاعها من الأرض أن تقرب أحياناً وتبعد أحياناً، وتبطىء أحياناً. وهذه متضادات ليست فى جواهرها ولكن فى إضافتها بعضها إلى بعض أو فى إضافتها إلى الأرض، أو فى إضافتها إلى الأمرين (٤٤).

على أن هذه التضادات التى تلحق إضافتها ينتج عنها حدوث تضادات فى المادة الأولى وفى الأجسام التى تحت السماء. ومن هنا يظهر تأثير الجسم السماوى على العالم الأرضى.

## ٢ - إثبات وجود مادة الأثير للأجسام السماوية؛

من دراسة الفارابى لنظرية الحركة وإثباته وجود الحركة فى المكان، والكم، والكيف، والوضع، ومن بيانه لأنواع الحركة المكانية وأنها لا تخرج من ثلاث: إما مستقيمة وهى التى تسير فى خطوط متوازية متساوية فى آن

واحد، وإما مستديرة أى حركة دائرية، وإما حركة تعد مزيجاً من المستقيمة والدائرية.

ومن هاتين النقطتين ينتهى الفارابى إلى بيان طبيعة العنصر الخامس الخاص بحركة الأفلاك الدائرية إذ يقول "أن طبيعته طبيعة خامسة" (٤٥). ولكى نوضح ذلك نقول: إن الفارابى قد أثبت سابقاً أن حركة النقلة هى شرط لكل حركة أخرى، وأنها أولى الحركات. إذ أن حركة النمو والنقصان، وحركة الاستحالة تفترض كلاهما حركة النقلة، ولهذا كانت حركة النقلة شرطاً لكل حركة أخرى. ولكن وكما ذكرنا سابقاً فليست حركة النقلة فحسب هى الحركة الوحيدة المتصلة، بل نوع واحد منها فقط هو المتصل وهى الحركة الدائرية. إذ أنها لما كانت عديمة الطرفين وليس لها نقطة بدء ونهاية ووسط فمن هذه الجهة تكون كالمتصلة. هذه الحركة هى حركة الأجرام السماوية، وكما يقول الفارابى متابِعاً فى ذلك أرسطو إلى حد كبير "فحركتها إذن مستديرة وتتميز هذه الحركة باتصالها وسبب اتصال الحركات المستديرة الإرادات المتصلة" (٤٦).

فإذا كان عالم الأفلاك أو الأجرام السماوية حركته مستديرة، فإن عالم العناصر الأربعة حركته مستقيمة. فالأرض إلى أسفل، والنار إلى أعلى، والماء والهواء بينهما إذ هما أثقل وأخف، وعلى ذلك يكون ترتيب العناصر مبتدئاً بالأرض فالماء فالهواء. فالتار. وهذا الترتيب قائم على أساس أقرب العناصر إفراطاً فى ماهيته ثم الانقاص فالانقاص (٤٧).

فإذا كانت العناصر الأربعة متحركة مستقيمة من أعلى إلى أسفل والعكس، فإن عنصر الجرم المتحرك حركة دائرية يختلف فى مادته عن مادة الأجسام الأرضية المتغيرة. وعلى ذلك تكون مادة الأجرام السماوية هى الأثير أو العنصر الخامس (٤٨).

ومن خصائص هذه المادة أنه لا ضد لها، ولذلك فهي غير متغيرة ومن طبيعتها أنها تتحرك على استدارة. يقول الفارابي "والأجرام السماوية وإن شاركت المواد الأربع في تركيبها من مادة وصورة، فإن مادة الأفلاك والأجرام مخالفة لمادة الأركان الأربعة والكائنات<sup>(٤٩)</sup>" ويعقب الفارابي بقوله وقد بين أرسطو طالع أن الجسم الذى يتحرك حركة مستديرة من أجزاء العالم ليس صورته صورة شىء آخر من أجزاء العالم ولا مادته مادة شىء<sup>(٥٠)</sup>.

## ٢ - صفات الأفلاك:

ورغم أن آراء الفارابي حول أحكام الأفلاك وصفاتها قد تناثر فى كتبه ورسائله، إلا أنه خصص بعض فصول فى كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" للحديث عنها. فخص "الفصل العاشر" من الكتاب وهو بعنوان "القول فى الموجودات الثوانى وكيفية صدور الكثير" للحديث عن الأجرام الفلكية التسعة وكيفية وجودها وفى "الفصل الثالث عشر" والذى جعل عنوانه "القول فيما تشترك الأجسام السماوية فيه" فيتناول أحكام الأفلاك. وفى "الفصل الرابع عشر" وهو بعنوان "القول فيما فيه وإليه تتحرك الأجسام السماوية ولأى شىء تتحرك" وكذلك "الفصل الخامس عشر" والذى عنوانه "القول فى الأفعال التى توجد بها الحركات الدورية وفى الطبيعة المشتركة لها" يتناول الفارابي فى هذين الفصلين حركة الأجسام السماوية، وخصائصها والطبيعة المشتركة لها. أما فى الفصل "السادس عشر" والذى عنوانه "القول فى الأسباب التى عنها تحدث الصورة الأولى والمادة الأولى" فإنه يتناول تأثير عالم ما فوق فلك القمر فى العالم السفلى.

وهكذا فإذا كان الفارابي قد أثبت سابقاً أن الأجرام السماوية مكونة من مادة خامسة تختلف عن المواد الأربع الأرضية، كما أن حركتها دائرية فى حين

أن العناصر الأخرى تتحرك على استقامة فإن الفارابي يخلع عليها صفات  
وخصائص أخرى من أهمها:

١ - أنها تامة الوجود. والتام الوجود هو الشيء الذي لا يوجد خارجاً  
منه وجود من نوع وجوده يقول الفارابي: "وكذلك كل ما كان من  
الأجسام تاماً. لم يمكن أن يكون من نوعية شيء آخر غيره مثل  
الشمس، والقمر وكل واحد من الكواكب الأخرى" (٥١) ولذلك فقد  
حصلت لها في كمالها الأفضل في جواهرها منذ أول الأمر. ولا  
يمكن أن يكون جوهره سائر الأجسام التي منها ألف العالم.

٢ - يرتب الفارابي الأجرام السماوية حسب فكرة الأفضل والأشرف  
فيضعها في المرتبة الثالثة بعد الأول وبعد العقول، ثم يفاضل بين  
السماوات، ويجعل السماء الأولى أفضلها وأشرفها ثم الثانية،  
وهكذا حتى فلك القمر تاسع الأجسام السماوية (٥٢) وهذا الترتيب  
الذي وضعه الفارابي قائم على أساس القرب أو البعد من  
الموجودات الروحية. فكلما قرب كانت العناصر الروحية فيه أكثر  
من المادية وهكذا... إلخ.

٣ - يرى الفارابي أن الأجسام السماوية محددة للجهات بكونها ذا  
إحاطة ومركز، لأن هذا الجسم ليس بمكون عن جسم آخر، ولا  
في حيز آخر بل هو مبدع ولذلك يحفظ الزمان فلا يمثل ولا  
يحتاج إلى جسم آخر يحدد جهته، بل هو يحدد الجهات "والجهة  
تظهر في الأجسام السماوية لأنها محيطة ولها مركز" (٥٣).

٤ - وبناء على ذلك فإن هذه الأجسام لها حيز واحد لأن الجسم البسيط  
له حيز واحد وشكل غير مختلف في أجزائه (٥٤).

٥ - ولما كانت طبيعته طبيعة خامسة فهذا الجسم " لا يعد حاراً ولا بارداً ولا خفيفاً ولا ثقيلاً<sup>(٥٥)</sup> " ويعلل "ابن سينا" ذلك بأن الحرارة والبرودة لا زمان منعكسان على الخفة والثقل . فالمادة إذا أمعن فيها التسخين خفت، وإذا خفت سخنت فلا خفيف إلا وهو حار . كما يعرض لها إذا بردت بشدة أن تثقل وإذا ثقلت بشدة فإنها تبرد فلا ثقيل إلا وهو بارد . وعلى هذا فإن الحر والبرد يكونان منعكسين على الثقل والخفة<sup>(٥٦)</sup> .

٦ - أنه ليس من خصائص الجسم المتحرك بالاستدارة أن ينخرق إذ يقول "والفلك لا يخرقه شيء"<sup>(٥٧)</sup> ويؤكد ذلك بقوله " وإنه لا يقبل الانخراق"<sup>(٥٨)</sup> وذلك لأن الانخراق لا يمكن أن يكون إلا بحركة من الأجزاء على استقامة . أما هذا الجسم الذى فيه مبدأ ميل مستدير فقط فليس قابلاً للخرق .

٧ - لما كانت الأجسام السماوية لها طبيعة مشتركة وهى التى بها صارت تتحرك كلها بحركة الجسم الأول وهى حركة دورية فى اليوم والليلة، فهذه الحركة ليست قسراً لأنه لا يمكن أن يكون فى السماء شيء يجرى قسراً<sup>(٥٩)</sup> . كما أن الحركة لا تدخل عليه بل هى طارئة عليه فقد تحقق جوهره، ولذلك قيل الفلك ليس فى الحركة والزمان بل مع الحركة والزمن<sup>(٦٠)</sup> .

٨ - وقد ذكرت سابقاً عند حديثى عن طبيعته أن حركته مستديرة، وتميز هذه الحركة باتصالها . وهكذا فإذا كانت حركة الفلك حركة مستديرة فهو بالتالى ليس له مبدأ حركة مستقيمة ولا ضد لصورته ولا ضد لحركته<sup>(٦١)</sup> .

٩ - أن لكل واحد من الأكر والدوائر المجسمة التى فيها حركة على حياها فأما أسرع أو أبطأ من حركة الأخرى مثل كرة ركل وكرة القمر، فإن كرة القمر أسرع حركة من كرة ركل (٦٢). وهذا التفاضل فى حركتها لا يكون بسبب إضافتها إلى غيرها، بل لأن لها هذا فى أنفسها وبالذات. فالبطء عنها بطيء دائماً، والسريع سريع دائماً أيضاً " إذ تلحق الأجسام السماوية لاختلاف أوضاع بعضها من بعض، ولاختلاف أوضاعها من الأرض من جهة أخرى. وأن تقرب أحياناً من الشيء وتبعد أحياناً، وأن تجتمع أحياناً وتفترق أحياناً... إلخ. وهذه المتضادات ليست فى جواهرها ولكن فى إضافتها بعضها إلى بعض أو فى إضافتها إلى الأرض أو إلى الأمرين جميعاً (٦٣). ومثال ذلك طلوع الشمس وغروبها فإنهما نسبتان لها إلى ما تحتها متضادتان، كما أن اختلاف أوضاعها يجعل بعضها يسرع نحو الأرض كما ذكرنا أو يبطئ.

وهكذا فالجسم السماوى أول الموجودات التى تلحقها أشياء متضادة، وأول الأشياء يكون فيها تضاد هى نسبة هذا الجسم إلى ما تحته ونسب بعضها إلى بعض (٦٤).

١٠ - والحركة الفلكية وإن كانت تتجدد إلا أنها واحدة بالاتصال والدوام، ومن هذه الجهة تكون كالثابتة (٦٥) ثم أنه لا يصح فيها أيضاً السكون (٦٦). ويثبت "أرسطو" أن حركة الفلك دائمة لا انقطاع لها ولا تسكن حركته لأن موضع ابتداء حركته هو موضع آخر حركته فلذلك صار دائم الحركة لا يسكن (٦٧).

١١ - أن حركة الفلك نفسانية لا طبيعية، والنفس الفلكية هى أيضاً التى يصدر عنها أفعال غير مختلفة بإرادة. أما الطبيعية فهى التى

تصدر عنها أفعال غير مختلفة من غير إرادة، وعلى ذلك فالفارق يكمن في وجود الإرادة وعدمها " وإن مبدأ الحركة والسكون إذا لم يكن من خارج فإما أن يكون لحركة لا تتبدل وبلا إرادة أو لسكون كذلك ويسمى طبيعة، وإما أن يكون لحركات مختلفة متبدلة وبلا إرادة يسمى نفسانية، وإما أن يكون حركات بإرادة وكيف كانت وهذه إما نفس حيوانية وإما نفس فلكية" (٦٨).

١٢ - إن الأجرام الفلكية لا يوجد لها حواس، ولا لها القوى المتخيلة. يقول الفارابي: " وليس في الأجسام السماوية من الأنفس لا الحساسة ولا المتخيلة بل إنما لها النفس التي تعقل فقط " ويعلل الفارابي ذلك بأن أنفس الأجرام الفلكية مفردة في جوهرها وذلك لأنها لم تكن بالقوة أصلاً، ولا في وقت من الأوقات بل هي بالفعل دائماً من قبل أن معقولاتها لم تزل حاصلة فيها منذ أول الأمر (٦٩).

أما " ابن سينا " فقد زعم أن لها قوى متخيلة، ولو كان الأمر في الأجرام السماوية على ما يقوله ابن سينا من أنها تتخيل الأوضاع التي تتبدل عليها لم تكن حركتها واحدة ومتصلة لتعاقب اختلاف الأمور المتخيلة (٧٠).

١٣ - أن له من الأشكال أفضلها وهي الكرية، ومن الكيفيات والمرثيات أفضلها وهو الضياء. إذ أن بعض أجزائها فاعلة للضياء وهي الكواكب، وبعض أجزائها مشقة بالفعل لأنها مملوءة نوراً من أنفسها ومما تستفيده من الكواكب (٧١).

١٤ - إن هذا الجسم الفلكي لا يجوز تكونه من أجسام أخرى على سبيل التركيب والمزاج. إذ أن صورته لا ضد لها. وعلى ذلك لا

يجوز أن يكون تكوينه من جسم آخر كما يكون الماء عن الهواء مثلاً بأن يبرد ويفارق الحر . فإكتساب المادة لصورة جديدة يلزمه زوال الصورة الأولى وإلا تفسد المادة التى هى مضادة للصورة الأولى . وهذا على عكس الأجسام السماوية ، فإن صورها لا يمكن أن يكون لها أزداد وموضوع كل واحد منها لا يجوز أن يكون قابلاً لغير تلك الصورة ولا يمكن أن يكون خلواً منها<sup>(٧٢)</sup> . يقول الفارابى " . . . وبعض تلك الأقاويل بين بها أرسطو طاليس أن الجسم الذى يتحرك حركة مستديرة من أجزاء العالم ليس لصورته صورة شىء آخر من أجزاء العالم ، وبعض تبين به أنه ولا مادته مادة شىء " <sup>(٧٣)</sup> .

١٥ - أن الأفلاك كلها متناهية وليس بورائها جوهر ولا شىء ولا خلاء ولا ملاء ، والدليل على ذلك أنها موجودة بالفعل ، وكل ما هو موجود بالفعل فهو متناه ، ولولم يكن متناهياً ما كان موجوداً بالقوة ، فهذه الأجرام السماوية كلها موجودة بالفعل لا تحتل زيادة واستكمالاً . ويستند الفارابى إلى قول أفلاطون " لو كان الموجود غير متناه وجب أن يكون بالقوة لا بالفعل " <sup>(٧٤)</sup> .

١٦ - إن طبيعة الفلك مبدعة فهى غير كائنة ولا فاسدة . وكذلك طبيعة العناصر فهى غير كائنة ولا فاسدة وهى مستبقاه بأشخاصها الكائنة الفاسدة إذ يقول " وكذلك طبيعة كل واحد من العناصر مبدعة غير كائنة ولا فاسدة وهى مستبقاه بأشخاصها ، وأما طبيعة هذه الأرض فإنها كائنة فاسدة " <sup>(٧٥)</sup> .

وقد رد الفارابى على يحيى النحوى الذى اتهم أرسطو بأنه يقول أن العالم يتكون ولا يفسد ويستند إلى ما ذكره أرسطو فى " السماع الطبيعى "

ويرى الفارابي أن النجوى قد ناقض نفسه في المقالة الرابعة من مقالاته إذ قال بنصه عند ذكر حجج أرسطو "حجته في أن السماء غير مكونة وأنها لا تفسد". فأرسطو كما يرى الفارابي أراد أن يثبت أن السماء أو العالم الذي يتحرك حركة مستديرة هو الذي لا يتكون ولا يفسد، ولكن يحى النجوى نقل قول أرسطو وجعله ينطبق على العالم بأسره، سواء كان عالم ما تحت فلك القمر أو عالم ما فوق فلك القمر مما أوقعه في التناقض. إذ أن ما ينطبق على الجزء ليس شرطاً في أن ينطبق على الكل وما تبين في أجزاء العالم من حال أو شيء آخر لا يلزم ضرورة أن يكون في العالم بأسره ولم يجعل بينهما فرقاً وذلك إما غفلة وإما تعمداً<sup>(٧٦)</sup>.

### القسم الثاني: عالم ما تحت فلك القمر (عالم الكون والفساد)

#### ١ - عناصره وخصائصها وانفعالات بعضها عن بعض:

إذا كان الفارابي قد تناول بالدراسة في القسم الأول طبيعة عالم ما فوق فلك القمر وخصائصه، ويبحث في الأجسام من جهة الحركة أو "النقلة" على أساس أن عالم ما فوق فلك القمر حركته مستديرة وعنصره الأثير، أما عالم ما تحت فلك القمر فحركته مستقيمة وعناصره "الماء والأرض والهواء والنار".

فإنه في هذا القسم يتناول بالدراسة طبيعة الأجسام المولفة من العناصر الأربعة والتي من شأنها أن تكون وتفسد وتتحرك في حركات مستقيمة، بحيث ينتهي من ذلك إلى تحديد الكائنات الموجودة في هذا العالم. سواء كانت متشابهة الأجزاء كالمعادن، أو كائنات مختلفة الأجزاء كالنبات والحيوان.

وهذه الدراسة من الأهمية نظراً لأنها مكملة لبحثه السابق عن عالم الأفلاك وموجوداته، والقسمان يرتبط كل منهما بالآخر وسوف يتضح لنا ذلك من إثباته واحدية العالم.

والفارابى يرى أن الأجسام التى تحت فلك القمر سواء كانت بسيطة وهى التى وجودها لا عن أجسام أخرى غيرها، أو مركبة وهى التى وجودها عن أجسام أخرى غيرها تتركب من العناصر الأربعة أو الأسطقسات" (٧٥).

ونحن وإن كنا لا نشاهد هذه البسائط ولا نحس بوجودها إلا أننا نرى الأجسام المركبة ونعلم يقيناً أنها نشأت عن العناصر الأربعة. إذ أن القياس المنطقى يقودنا إلى أن الجسم المركب إذا كان يحتوى على حار ويابس فهذا يعنى وجود أجسام أول بسيطة تكون حارة ويابسة وعنهما تتكون الأجسام المركبة " وهذه العناصر يتكون بعضها عن بعض ولا تتكون هى عن جسم أبسط منها لأنها الجواهر الأول الطبيعية" (٧٧). وحين عرض الفارابى مراتب الممكن جعل الأسطقسات فى المرتبة الثانية بعد المادة الأولى. وحددها بأنها هى التى حصلت لها وجوداتها بالاضداد التى تحصل فى المادة الأولى (٧٨) ولكن كيف ذلك؟؟.

لقد أثبتنا سابقاً عند الحديث عن مبادئ الموجودات أن هذه الجواهر الطبيعية تتركب من المادة والصورة فهما مقومان لها. ولما كانت المادة موضوعه لصور متضادة، إذ أنها قابلة للصورة ولضد تلك الصورة أو عدمها، أضحت الصور المحتاجة إلى المادة على مراتب، وتنوعت أشكال الأجسام تبعاً لاختلاف الصور والكيفيات إلا أن أدنى هذه الصور مرتبة هى صور الأسطقسات الأربع، وهى صور أربع فى مواد أربع وإن كان نوعها واحد بعينه، فالتى هى مادة للنار هى بعينها يمكن أن تجعل مادة للهواء ولسائر الأسطقسات. فإذا كانت العناصر كثيرة بالصور فهى واحدة بالمادة" والأسطقسات أربع وصورها متضادة، ومادة كل واحدة منها قابلة لصورة ذلك الأسطقس ولضدها. ومادة كل واحدة منها مشتركة للجميع وهى مادة لها ولسائر الأجسام الأخرى التى تحت الأجسام السماوية. . . ومواد الأسطقسات ليست لها مواد فهى المواد الأولى المشتركة لكل ما تحت السماوية" (٧٩).

هذه الصورة أو الكيفيات هي المكونة لماهية كل عنصر بحيث لو انعدمت  
كيفية الشيء لم يعد هو هو .

فالنار بفقدانها الحرارة لا تكون ناراً . ولما كانت المادة لا وجود لها بذاتها  
أصبحت الصور هي التي تهبها الحياة، وعلى ذلك فليست الصورة أعراضاً  
تلحق المادة لأن العرض يزول ويفنى ويتغير . . . إلخ . أما الكيفيات الأربع فلا  
تزول ولا تتقوم بغيرها لأن صور العناصر كما أنها لا تفسد كما يتوهم البعض  
عند امتزاج بعضها ببعض، فالكيفية تبقى كما هي في الحقيقة دون أن تفسد .  
وما يحدث هو أن تتغلب كيفية على كيفية أخرى كأن تتغلب الليونة على  
اليبوسة أو الحرارة على الرطوبة فينسب الشيء إلى الكيفية الغالبة بحيث تنشأ  
الأجسام البسيطة نتيجة لالتقاء الكيفيات الأربع الأولى اثنين اثنين .

فالنار حرارة ويبوسة، والهواء حرارة ورطوبة، والماء برودة ورطوبة،  
والتراب برودة ويبوسة<sup>(٨٠)</sup> وفي ذلك يقول الفارابى: " إن هذه الأسطوانات  
الطبيعية التي هي أصول الكون والفساد . . . قابلة لاستحالة بعضها إلى بعض  
وأن الكائنة الفاسدة تحدث بأمزجة تقع فيها نسب مختلفة معدة نحو خلق  
مختلفة مقومة وأن من هذه الصور تنبعث الكيفيات المحسوسة " <sup>(٨١)</sup> .

كما يقول " هذه الأجسام الأربعة البسيطة التي دون فلك القمر يستحيل  
بعضها عن بعض ويتكون بعضها عن بعض وفيها قوى تعطيها الاستعداد  
للفعل وهي الحرارة والبرودة، وقوى تعطيها الاستعداد لقبول الفعل وهي  
الرطوبة واليبوسة، وفيها قوى أخرى فاعلة منفعة كالذوق الفاعل في اللسان،  
والشم والشم الفاعل في آله الشم، وكالصلابة واللين والخشونة واللزوجة .  
وهذه كلها تظهر من تلك الأربع التي هي الأولى " <sup>(٨٢)</sup> .

ومن هذا نرى كيف طبق الفارابى نظريته في مبادئ الموجودات والحركة  
على عالم الكون والفساد وعناصره .

كذلك استخدم نظريته في المكان في تحديد أماكن هذه العناصر. فقد ربط الفارابي كما ربط أرسطو من قبل بين وزن الشيء ونظريته في المكان الطبيعي للعناصر، على أساس أن لكل عنصر في الوجود مكاناً طبيعياً يميل إليه بطبيعته<sup>(٨٣)</sup>. فالتراب والماء وهما العنصران اللذان يتجهان بطبيعتهما إلى الانحدار إلى أسفل، أما الهواء والنار فهما يميلان بطبيعتهما إلى الصعود إلى أعلى، وهكذا فإن الأرض عنصر ثقيل رطب يابس، والهواء عنصر جاف بارد، والنار عنصر خفيف جاف حار، والماء عنصر ثقيل رطب بارد<sup>(٨٤)</sup>.

ويتولى الفارابي مهمة الدفاع عن آراء أرسطو طاليس في إثبات أن حركة الأجسام البسيطة ليست واحدة بالنوع<sup>(٨٥)</sup> ويستند إلى عدد من الحجج والبراهين ليثبت كذب إدعاء "يحيى النحوى" ويبطل آراءه التي ناقض فيها أرسطو طاليس، والتي تلخص في أنه يرى أن الأجسام البسيطة حركتها واحدة بالنوع. ويستدل يحيى النحوى على ذلك بأن الأجسام التي تتحرك حركة مختلفة في النوع طبيعتها مختلفة. وهذا القول صحيح كما يقول الفارابي إن كان أراد بالأجسام الأجسام البسيطة، ولكن ينبغي عليه أن يبين لنا أي الأجسام البسيطة المختلفة في النوع وتتحرك حركة واحدة بعينها؟

فإذا كان الماء والأرض بسيطين وكل واحد منهما يتحرك بالطبع إلى الوسط، ثم الهواء والنار يتحركان من الوسط. فهذا يدل على أن الطبيعة التي يتحركان بها طبيعة واحدة. وهذا الاتصال صحيح كما يقول الفارابي ولكن ينبغي أن يبين لنا كيف تكون حركتهما واحدة بالنوع؟

ذلك لأن الأبعاد البسيطة بعدان: بعد الدائرة، وبعد الخط المستقيم. وكذلك فأجناس النقلة جنسان: - الحركة على الخط المستقيم، والحركة على الدائرة. وبالتالي فالجسم الذي يتحرك على استدارة تختلف طبيعته عن الجسم الذي يتحرك على استقامة<sup>(٨٦)</sup>.

فالحرركات البسيطة المستقيمة الطبيعية إذن نوعان: الحركة إلى مركز الكل للأجسام الثقيلة، والحركة من المركز والوسط للأجسام الخفيفة، فالأرض والماء يتحركان جميعاً إلى مركز الكل لذلك صارت حركتهما واحدة بالنوع رغم أن الأرض تتحرك أسرع من الماء فالسرعة والبطء لا يغيران النوع. وكذلك الحال في النار والهواء فإنهما يتحركان من المركز وإن كانت النار أسرع حركة.

وهكذا يتضح لنا أن حركة الماء والأرض واحدة بالنوع، وأن النار والهواء كذلك. فإذا كان يحى النحوى يرى أن الأرض والماء ليسا واحداً بالنوع وكذلك الهواء والنار فمعنى ذلك أنه يجعل الأسطوانات اثنتين لا أربعة. وهذا قول باطل.

كما زعم أن الذى يتحرك على استدارة، والذى يتحرك على استقامة. وإن كانا مختلفى الحركة بالنوع فليس يلزم أن تكون طبيعتهما مختلفة، بل يمكن أن تكون واحدة، ويستدل على ذلك بأن الماء والأرض مختلفتان وإن كانت حركتهما واحدة بالنوع.

ويرد الفارابى على يحى النحوى ويقول أن كلامه الذى قاله "فى الهواء والنار والماء والأرض" بأن حركتهما واحدة بالنوع كذب، وليس الأمر كما قاله، وذلك لأن مكان الماء غير مكان الأرض، وكذلك الهواء غير مكان النار. والحركة إنما تكون واحدة بالنوع متى كانت الغاية التى تخص المكان غاية واحدة فى النوع والمكان الذى يخصهما جميعاً واحداً بالنوع. وإذا لم يكن مكان الماء والأرض واحد بالنوع فحركتهما ليست واحدة بالنوع<sup>(٨٧)</sup>.

وقد تأثر موسى بن ميمون بالفارابى فى نظريته إلى حركة الأجسام الأسطوقسية ووضح هذا التأثير فى قول ابن ميمون "وفى داخل هذه الكرة الدائرية التى تليها مادة واحدة مباينة لمادة الجسم الخامس قبلت أربع صور أولى وصارت بتلك الأربع أربعة أجسام (الأرض - الماء - النار - الهواء). وكل

واحد من هذه الأربعة له موضع طبيعي خصيص به لا يوجد فيه غيره وهو متروك مع طبيعته. وهى أجسام ميتة لا حياة فيها ولا إدراك ولا تتحرك من تلقاء أنفسها، بل هى سباكة فى مواضعها الطبيعية. فإن أخذ واحد عن موضعه الطبيعي بالقصر فعند زوال القاصر يتحرك للرجوع لموضعه على استقامة وليس فيه مبدأ يسكن به ولا يتحرك به على غير استقامة. والحركات المستقيمة الموجودة لهذه الأربعة أسقطسات إذا تحركت للرجوع لمواضعها حركتان: حركة نحو المحيط وهى للنار والهواء، وحركة نحو المركز وهى للماء والأرض. وإذا وصل كل منهما لموضعه الطبيعي سكن" (٨٨).

وهكذا أثبت الفارابى وجود عناصر أربعة، وبذلك رد على من حاول إثبات وجود عنصر واحد. كما أثبت أن لهذه العناصر كفيات ليست بصور للأسقطسات، بل هى أعراض تابعة للصور الحقيقية، لأنها إن كانت صور فإن ذلك ينفى الفعل والانفعال الذى يكون بقوى متضادة لا تنبعث من صورة متفقة، بل تنبعث عن صور مختلفة وعلى هذا تكون الأسقطسات كثيرة كما تكون متناهية.

وفى ذلك يقول الفارابى " وإن الأجسام الأسطقسية توجد فيها قوى نهية نحو الفعل وهو الحرارة والبرودة وقوة مهياة نحو الانفعال السريع والبطيء وهو الرطوبة واليبوسة، وأن القوى الأخرى الفعلية منهما والانفعالية هى كلها تابعة لتلك الأمور الأربعة الأول، وأنه ليس إلا واحد من هذه الأربعة بصورة للأسطقس، بل هى أعراض تابعة للصور الحقيقية" (٨٩).

فالحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة هى المبادئ التى بها تفعل الأسقطسات الأول بعضها فى بعض، وهى لها كلها كالات، وأن الفاعلة الأولى هى صورتها التى بها ماهيتهاز ولكنها ليست هى أسقطسات الأجسام المركبة من حيث تلك الصور، بل من حيث لها هذه الكفيات الأربع

الملموسة، فإنها إنما تفعل بالحرارة وتقبل أفعال غيرها بالرطوبة واليبوسة مختلطين، فالمبادئ التى بها تفعل الأجسام المركبة هى البرودة والحرارة، والمبادئ التى بها تقبل الانفعالات والآثار هى الرطوبة واليبس مختلطة باللذين يوجدان فيها.

كما أن الحرارة تعتبر هى المبدأ الأول الذى يفعل به الجسم المركب فعله، وهى الآلة الأولى غير الجسمانية والمبدأ الأول غير الجسمانى بعد الصورة الذى يفعل له الجسم فعله. أما البرودة فهى آلة ثانية غير جسمانية ومبدأ ثان غير جسمانى بعد الصورة (٩٠).

## ٢ - مذهبه فى الكون والفساد.

يعرض الفارابى مذهبه فى الكون والفساد بدقة محكمة بناء على ما توصل إليه من أحكام خاصة بمبادئ الموجودات. فهو قد ذهب إلى القول بأن مبادئ الأجسام ثلاثة فقط: وهى المادة والصورة والعدم (كمبدأ بالعرض)، كما أنه ذهب إلى أن العلة المادية للكون والفساد هى الهيولى القابلة للصور على التوالي أى أن فساد جوهر هو كون جوهر آخر والعكس بالعكس. وعلى هذا فهما صورتان لتحول واحد.

كما أن تمييزه بين الكون والفساد وهو الذى يقع فيه التغير دفعه، وبين المقولات الأربع الأخرى التى تقع فيها الحركة على التدرج. يعد أساساً من الأسس التى يستند إليها فى تقرير مذهبه فى الكون والفساد. فما هى حقيقة مذهبه وكيف عرضه؟؟

يبدأ الفارابى أولاً بتعريف كل من الكون والفساد. فالكون هو تركيب ما أو شبيه بالتركيب، أما الفساد فهو انحلال. ويمكن أن نطلق على التركيب الاجتماع، وعلى الانحلال الافتراق.

والتحليل والتركيب لا يكون إلا فى عالم ما تحت فلك القمر أو عالم العناصر، لأنه لا تحليل ولا تركيب فى شىء واحد، بل أقل ما يقع عليه التحليل والتركيب شيثان. ولذلك لا يخضع عالم الفلك للكون والفساد لأنه واحد غير متكرر (٩١).

وتعتبر الأسطقات الطبيعية هى أصول الكون والفساد. فالكون هو حدوث صورة جوهرية فى المادة والفساد بطلانها (٩٢).

فإذا رجعنا إلى نظرية الفارابى فى الحركة لوجدنا أنه يقرر أن التغيير لا يتم إلا بين ضدتين. فيكون من لا وجود إلى وجود وهو الكون، أو من وجود إلى لا وجود وهو الفساد. فإذا تغير الشىء أو انتقل من وجود إلى وجود، أو من حال إلى حال كان هذا حركة. وتكون هذه الحركة فى الكيفية، كأن ينتقل الجسم من كيفية إلى كيفية أخرى كتسخين الماء وتبرده أو استبدال البياض بالسواد "فالاستحالة هى تغير يعرض للجوهر فى كفيته" (٩٣). وقد تكون بزيادة فى الجسم فينمو الجسم أو ينقص ولكن صورته فى الحالتين تظل باقية.

وقد تكون فى الجسم حركة كمية دون زيادة ونقصان، كأن يقبل الموضوع نفسه مقداراً أكبر أو أصغر بتخلخل أو تكاثف دون أن يكون هناك انفصال فى أجزائه. كما أن حركة الجسم فى المكان وانتقاله من مكان إلى آخر دون أن يتغير بالنمو ولا بالكيف كان هذا أيضاً حركة وتخضع لما يسمى بحركة النقلة، وهى الحركة الأساسية التى يمكن رد جميع الحركات إليها، إذ تعتبر شرطاً لحركتى الكم والكيف كما أثبتنا ذلك سابقاً.

وهكذا فمن تقريره لنظرية الحركة وبيان أنواعها يثبت استحالات العناصر نتيجة لتأثير بعضها فى بعض. "هذه المواد الأربع التى هى أصول الكون والفساد قابلة لاستحالة بعضها إلى بعض، والأشياء الكائنة الفاسدة

التي تظهر من الأمزجة التي تظهر فيها مع النسب المختلفة التي تعطيها الاستعداد لقبول الخلق المختلفة والصور المختلفة التي بها قوامها" (٩٤).

وعلى سبيل المثال إذا كانت المواد الأرضية مكونة من أربع عناصر هي "الماء والتراب والهواء والنار" وأن كل واحد منها يمثل اتحاد اثنين من خصائص أربع: جاف بارد، رطب وبارد، رطب ودافئ، جاف ودافئ. فإن كل عنصر منها قد يتحول إلى آخر وذلك عن طريق تحول إحدى الخصائص الأساسية إلى نقيضها مثلاً يتحول الماء إلى أرض عندما يتجمد وإلى هواء عندما يتبخر. وهكذا سائر العناصر فهذه استحالة، وإذا حصلت هذه التحولات في الجوهر وبقي على نوعه فهو فساد (٩٥).

أما كيفية تفسير حركة الطبيعة وحدث الأشياء فيها. فالفارابي يعرضها بدقة من خلال تشخيصه للعلاقة بين عالم ما فوق فلك القمر، وعالم الكون والفساد. فيقرر أنه نتيجة للطبيعة المشتركة للأجرام السماوية يلزم عنها وجود المادة الأولى المشتركة لموجودات عالم الكون والفساد، وعن اختلاف جواهرها يلزم وجود أجسام كثيرة مختلفة الجواهر، وعن تضاد نسبها وإضافاتها ينتج وجود الصور المتضادة في الموجودات، وعن تبدل متضادات النسب عليها وتعاقبها فيلزم من ذلك تبدل الصور المتضادة على المادة الأولى.

فإذا حدث في ذات واحدة نسب متضادة وإضافات متعاندة في وقت واحد من جماعة أجسام فيها اختلاط في الأشياء ذات الصور المتضادة وامتزاجاتها، فتؤدى هذه الامتزاجات المختلفة إلى حدوث أنواع كثيرة من الأجسام.

لكن هذه الأجسام تخضع عند الفارابي لقتانون الترتيب فيحدث أولاً الأسطقسات، ثم ما جانسها من الأجسام مثل البخارات وأصنافها مثل الغيوم والرياح وسائر ما يحدث في الجو والأرض والماء والنار، ثم يحدث في هذه

الأسطقسات امتزاجات واختلاطات كثيرة متضادة، وبغير تضاد بتأثير القوى التي بها أو القوى التي تفعل بعضها في بعض، أو القوى التي يقبل بها بعضها فعل بعض، ثم بتأثير من الأجسام السماوية فيحدث من اجتماع هذه الأفعال كلها أصناف من الاختلاطات والامتزاجات (٩٦).

فغندما تختلط لأسطقسات بعضها معه بعض ينتج من ذلك أجسام كثيرة متضادة ويسمى ذلك اختلاطاً أول.

وعندما تختلط هذه الأجسام المتضادة بعضها مع بعض فقط، وبعضها مع بعض ومع الأسطقسات ينتج من ذلك أجسام كثيرة متضادة الصور. ويسمى ذلك اختلاطاً ثانياً.

وعندما يحدث في كل جسم من الأجسام المتضادة الصور، قوى يفعل بها بعضها في بعض، وقوى تقبل بها فعل غيرها فيها، وقوى تتحرك بها من تلقاء نفسها بغير محرك من خارج، ثم تفعل فيها الأجسام السماوية ويفعل بعضها في بعض، وتفعل فيها الأسطقسات، وتفعل هي في الأسطقسات أيضاً، فيحدث من اجتماع هذه الأفعال بجهات مختلفة اختلاطات أخرى كثيرة تبعد بها عن الأسطقسات والمادة الأولى بعداً كثيراً. ولا تزال تختلط اختلاطاً بعد اختلاط قبله فيكون الاختلاط الثاني أبداً أكثر تركيباً مما قبله إلى أن تحدث أجسام لا يمكن أن تختلط فيحدث من اختلاطها جسم آخر أبعد منها عن الأسطقسات فيقف الاختلاط (٩٧).

وهكذا يتوالى ظهور الأجسام عن تلك الاختلاطات وإن كان كل اختلاط يظهر عنه أجسام مختلفة عن الاختلاط الذي بعده فالمعدنيات مثلاً تحدث باختلاف أقرب إلى الأسطقسات وأقل تركيباً ويكون بعدها عن الأسطقسات برتب أقل، أما النبات فيحدث بأخلاق أكبر تركيباً وأبعد عن

الأسطقسات برتب أكثر، والحيوان غير الناطق يحدث باختلاط أكثر تركيباً من النبات، ثم يحدث الإنسان من الاختلاط الأخير الذى ليس بعده اختلاط.

هذه الامتزاجات والاختلاطات التى تحدث فى الأجسام تصبح بها مهياة لقبول النفوس من عالم ما فوق فلك القمر: يقول الفارابى " وأنه يجب فى الأسطقسات بحسب نسبتها من السماويات ومن أمور منبعثة من السماويات أن يحدث فيها امتزاجات مختلفة تستعد بها لقبول النفوس النباتية والحيوانية والناطقة من الجوهر العقلى الآخر، وأن الكون والفساد وغيرهما إنما يكون بقرب العلل وبعدها وذلك هو الحركة" (٩٨).

وهكذا يفسر الفارابى ظهور الكائنات فى عالم الكون والفساد وقد جعلها الفارابى على ضربين:

١ - ضرب متشابه الأجزاء.

٢ - ضرب مختلف الأجزاء.

فما هى خصائص كل ضرب منهما؟؟

يرى الفارابى أن الموجودات المتشابهة الأجزاء هى التى تحدث بتركيب لا تبقى به ماهية كل واحد من تلك الأجزاء على الوجه الذى كان له، وهو تركيب الامتزاج الذى يحصل بفعل بعض فى بعض وانفعال بعض عن بعض. من هذه الأجسام المتشابهة الأجزاء المتكونة عن الأسطقسات: المعادن والأجسام الحجرية وما جانسها.

أما الموجودات المختلفة الأجزاء فهى التى تحدث بتركيب أجسام متشابهة بعضها إلى بعض تركيباً تبقى به ماهية كل واحد من تلك الأجسام محفوظة، وهو تركيب تجاوز وتماس. من هذه الأجسام الطبيعية المختلفة الأجزاء: النبات ثم الحيوان (٩٩).

وهكذا يبين الفارابي أن هذه المركبات التي تولدت عن العناصر الأربعة قد تكون ذو صورة لا نفس لها ويسمى معدنيًا، وذو صورة هي نفس غازية ونامية ومولده للمثل لا حس ولا حركة إرادية له ويسمى نباتًا، وذو صورة هي نفس غازية ونامية ومولده للمثل وحاسة ومتحركة بالإرادة ويسمى حيوانًا (١٠٠).

وإذا كان الفارابي قد بين لنا كيفية وجود الموجودات والكائنات في هذا العالم الأرضي، فإنه لكي يبين لنا بقاءها ودوامها يعتمد على نظريته في مبادئ الموجودات فكيف ذلك؟؟

يذهب الفارابي إلى أن الموجودات لما كان قوامها من مادة وصورة، وكانت الصورة متضادة، وكل مادة من شأنها أن توجد لها هذه الصورة وضدها، فصار لكل واحد من هذه الأجسام حق واستهال بصورته، وحق استهال بمادته. فإذا كان يحق له الوجود بحسب صورته بقى على وجوده الذي له، وإذا كان يحق له الوجود بحسب مادته فإنه قد يوجد وجودًا آخر مضافًا للوجود الذي له، وإذا لم يكن أن يوجد في هذين معًا في وقت واحد لزم ضرورة أن يوجد في كل واحد منهما مدة ما ثم يتلف ويوجب ضده وهكذا. فليس وجود أحدهما أولى من وجود الآخر، ولا بقاء أحدهما أولى من بقاء الآخر. فكل واحد منهما له قسم من الوجود والبقاء.

وهكذا فالمادة الواحدة لما كانت مشتركة بين ضدين وكان قوام كل واحد من الضدين بها، ولم تكن المادة أولى بأحد الضدين دون الآخر، وفي نفس الوقت فلا يمكن أن توجد لكليهما في وقت واحد، لزم ضرورة أنك تعطى تلك المادة أحيانًا هذا الضد، وأحيانًا ذلك الضد، ويعاقب بينهما فيصير كل واحد منها كأن له حقًا عند الآخر، ويكون عنده شيء ما لغيره، وعند غيره

شيء هو له، وعند كل واحد منهما حق ما ينبغي أن يصير إلى كل واحد (١٠١).

ولكى يتحقق العدل في هذه الموجودات لم يكن أن يبقى الشيء الواحد دائماً على أنه واحد بالعدد، فجعل بقاء الدهر كله على أنه واحد بالنوع، ولكى يبقى الشيء بالنوع فلا بد أن يوجد أشخاص ذلك النوع مدة ما ثم تتلف ويقوم مقامها أشخاص أخرى من ذلك النوع (١٠٢).

وهكذا ومع ثبات قانون التحول الدائم في المادة الذي يقرره الفارابي تصبح دلالة الكون تركيباً ما أو شبيهاً بالتركيب، ودلالة الفساد تحليلاً ما أو شبيهاً بالانحلال. وكل ما كان تركيبه من أجزاء أكثر كان زمان تركيبه أطول والعكس بالعكس (١٠٣).

وهكذا ينتهي الفارابي إلى تحديد الممكنات في عالم الطبيعة حيث يرى أنها تظهر على نحوين:

١ - ممكن يتحقق فيه الشيء أو لا يتحقق وهذا هو المادة بدالاتها المطلقة.

٢ - ممكن يتحقق بذاته وهو المركب من الاثنين معاً. المادة والصورة.

وأدنى هذه الممكنات مرتبة مالم يكن له وجود محصل ولا بواحدة من الضدين. وتلك هي المادة الأولى. والتي في المرتبة الثانية ما حصلت موجودة بصورة ما حصل لها بحصول صورها إمكان أن توجد وجودات متقابلة أيضاً فتصير مواد لصور أخرى... ولا تزال هكذا إلى أن تنتهي إلى صور لا يمكن أن تكون الموجودات المتحصلة بتلك الصور مواد لصور أخرى فتكون صور تلك الموجودات صوراً لكل صورة تقدمت قبلها وهذه الأخيرة أشرف الموجودات الممكنة، والمادة الأولى أحسن الموجودات الممكنة (١٠٤).

وهكذا سيطرت على الفارابى فى دراسته لمراتب الممكنات فى العالم الطبيعى فكرة الأشرف والأفضل وهى الفكرة التى لازمتها فى مختلف أجزاء فلسفته سواء كانت طبيعية أو إلهية أو سياسية أو أخلاقية. فهو يرى أن كل ما كان أقرب إلى طبيعة المادة الأولى كان أحسن وأدنى، وكل ما كان أقرب إلى طبيعة صورة الصور كان أشرف وأسمى. والأشرف عند الفارابى هو كل ما هو أقدم فى ذاته ولا يصح وجود تاليه إلا بعد وجود مقدمه<sup>(١٠٥)</sup>. وهذا رغم أن الفارابى يذهب إلى أنه لا توجد المادة مفارقة لصورة ما فى وقت أصلاً وهو موقف أرسطو طاليس.

## ٢ - نقد الفارابى لمن أنكر الكون والفساد:

يعتبر مذهب الفارابى فى الكون والفساد وقانون التحول الدائم فى المادة رداً على من أنكر الكون والفساد، ويقوم نقده أساساً على دحض اعتقادهم بأن البسائط مثل الأرض والماء والنار والهواء "لا تفسد جواهرها ولا شىء منها يوجد من حيث طبيعته، بل إنه مركب من الطبيعة التى ينسب إليها ومن طبائع أخرى. ويرى الفارابى أنهم قد أخطأوا حين فهموا قولنا "غير موجود" على أنه ليست له ماهية أصلاً وبالتالي فلا يمكن أن يصير موجوداً وأن يحصل عنه موجود بالفعل طالما أنه غير موجود وليس له ماهية، ويعلل قولهم ذلك بأنهم رأوا "أن ما يحس أشياء تحدث وتحصل بالفعل، وكان ما يحدث يسبق إلى النفس أنه يحدث عن غير موجود، وكان الأسبق إلى النفس عن غير الموجود، أنه لا ماهية له أصلاً لزم عندهم مجال إذ كان يلزم أن يحدث موجود من غير موجود، فاعتقد بعضهم أن هذا يلزم عنه أيضاً محال. إذ كان يلزم أن يكون ما هو الآن موجود حادث الوجود قد كان موجوداً قبل حدوثه، فأبطلوا الكون والحدوث وقالوا أن الأشياء كلها لم تزل ولا تزال وليس فيها شىء يحدث ويبطل"<sup>(١٠٦)</sup>.

ويتهى الفارابى إلى أن هذا الفهم فاسد. لأنهم فهموا أن ما هو لا موجود لا ماهية له أصلاً.

كما أن الفارابي كما مر بنا من قبل قد تعرض بالنقد لمذهب "الجوهر الفرد" ودحض المقدمات التي استند إليها القائلون بأن الجسم يتكون من أجزاء لا يمكن أن تنتهي في القسمة إلى ما لا نهاية، بل لا بد من وجود جوهر فرد أو أجزاء لا تتجزأ. وقد ذهب أصحاب هذا المذهب إلى أن افتراق الأجزاء هو فسادها واجتماعها هو كونها. ومن هنا فقد كان موقف الفارابي ومن قبله أرسطو من أصحاب المذهب القائل: بأن الطبيعة تنحل إلى وحدات صغيرة هي الذرات إنما يقوم على مذهبها في اعتبار أن المادة الأولى أو الهيمولي قد اكتسبت صوراً أربع وهي الكيفيات الأربع "الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة" بحيث نشأ عنها أربعة أجسام بسيطة هي "النار والهواء والماء والتراب" ومنها تتكون سائر الأشياء بحيث تنشأ الأجسام البسيطة نتيجة لالتقاء الكيفيات الأربع الأولى اثنين اثنين. فالنار حرارة ويبوسة، والهواء حرارة ورطوبة، والماء برودة ورطوبة، والتراب برودة ويبوسة<sup>(١٠٧)</sup>.

وهكذا ينقد الفارابي أصحاب مذهب الجوهر الفرد من جهة تفسيرهم للكون والفساد لأن هذا المذهب لا يستطيع تقديم تفسير محدد لتنوع الموجودات في عالمنا الطبيعي. فهو يقدم لنا وصفاً للكون والفساد عن طريق اجتماع الذرات وافتراقها، ولكنه لا يبين المبادئ التي تحكم هذا الاجتماع والافتراق.

ورغم صحة نقد الفارابي هذا إلا أننا يمكننا القول بأن مذهبه والذي تابع فيه أرسطو إلى حد كبير هو بدوره يحمل أخطاءً قد تفوق أخطاء من نقدهم، فقد سبق أن ذكرنا أنه سيطرت على مذهبه فكرة القول والفعل، وهي بما تقوم عليه من جذور ميتافيزيقية سبق أن أوضحناها في دراستي لمبادئ الموجودات الطبيعية عنده، لم توضح لنا عمليات الاستحالة والكون والفساد توضيحاً يقوم على النظرة الحركية الديناميكية بل تميزت بالتفسير الاستاتيكي الذي ساد معظم أجزاء فلسفته الطبيعية.

## رابعاً: أثر العالم العلوى فى العالم السفلى:

تلعب الأفلاك والأجرام السماوية دوراً هاماً فى عالم الكون والفساد من حيث إن الحركة الدورية الصادرة عنها فى رأى الفارابى تكون سبباً فى اشتراك العناصر الأربعة فى عنصر واحد، وتباين حركتها تكون سبب اختلاف الصور الأربع وتغيرها من حال إلى حال بسبب تغير المواد الأربع ذاتها ويحدث عن ذلك الكون والفساد<sup>(١٠٨)</sup>.

وقد سبق أن بينا أن الكون والفساد والاستحالة إذا كانت أمور متبدلة ومتغيرة، وأن لكل متغير أو متبدل سبب، فإن هذا يدل على وجود حركة مكانية مسببة لهذا التغير فهى مقربة الأسباب ومبعدتها، ومقوية الكيفيات ومضعفتها. وقد اتضح لنا ذلك عندما تعرضنا لدراسة الحركة عند الفارابى وأوضحنا أنه يجعل حركة النقلة هى أولى الحركات وأن سائر الحركات تحتاج إليها.

وإذا كانت مبادئ الحركات كلها ترجع إلى الحركة المستديرة، فإن الحركات السماوية المستديرة المقربة لقوى الأجرام العلوية ومبعدتها هى أسباب أولى للكون والفساد، كما أن عوداتها أسباب لعود أدوار الكون والفساد والحركة الحافظة لنظام الأدوار. وفى ذلك يقول الفارابى "ثم تلحق الأجسام السماوية لأجل اختلاف أوضاع بعضها من بعض، ولأجل اختلاف أوضاعها من الأرض، أن تقرب أحياناً من الشيء وتبعد أحياناً، وأن تجتمع أحياناً وتفترق أحياناً، وتظهر أحياناً وتستر أحياناً، ويعرض لها أن تسرع أحياناً وتبطىء أحياناً، وهذه متضادات ليست فى جواهرها ولكن فى إضافاتها بعضها إلى بعض، أو فى إضافتها إلى الأرض، أو فى إضافتها إلى الأمرين جميعاً. وعن هذه التضادات التى تلحق إضافتها ضرورة تحدث فى المادة

الأولى صور متضادة وتحدث فى الأجسام التى تحت الجسم السماوى أعراض متضادة وتغاير متضادة\* (١٠٩).

وقد أعطى الفارابى مثلاً لذلك بأن النار مثلاً تحتاج فى أن يكون عنها وعن الماء بخار إلى حرارة يتبخر بها الماء، كما تحتاج الشمس فى أن تسخن ما لدينا إلى أن تتحرك هى ليحصل لها بالحركة حرارة فيما لدينا (١١٠).

ولكن يتردد سؤال هام وهو لماذا لم يكن فى استطاعة عالم ما تحت فلك القمر أن يستقل بنفسه وبوجوداته عن تأثير العالم العلوى؟؟

يرد الفارابى على هذا التساؤل قائلاً أن الموجودات التى دون الأجسام السماوية فى نهاية النقص فى الوجود، وذلك لأنها لم تعط من أول الأمر جميع ما تتجوهر به على التمام فقد أعطيت جواهرها التى لها بالقوة البعيدة فقط لا بالفعل، أى أنها أعطيت مادتها الأولى فقط ولذلك فهى سبعية أبداً إلى ما تتجوهر به من الصورة، كما بلغ من تأخرها وتخلفها وخساسة وجودها أن صارت لا يمكنها أن تنهض وتسعى من تلقاء أنفسها إلى استكمالاتها إلا بمحرك من خارج. وهنا احتاجت إلى عالم ما فوق فلك القمر. ولم يكن محركها من خارج سوى الجسم السماوى وأجزاؤه ثم العقل الفعال. وفى ذلك يقول الفارابى "ما تحت فلك القمر أعطيت مادتها الأولى فقط. وهى بالقوة ولا يضير إلى استكمالاتها إلا بمحرك من خارج هو الجسم السماوى وأجزاؤه ثم العقل الفعال" (١١١).

وهنا يوضح لنا الفارابى مدى احتياج كائنات عالم ما تحت فلك القمر إلى معونة العالم العلوى. ولا شك أن هذا لن يتم إلا وفقاً لهذا النظام المحكم الذى وضعه الفارابى والذى بمقتضاه يجعل الله وهو المبدأ الأول يحرك جميع الأفلاك الحركة الخاصة بها، وهو الذى يأمر سائر المبادئ أن تأمر سائر

الأفلاك بسائر الحركات. وبهذا الأمر قامت السماوات والأرض. وقد صدرت هذه المبادئ بعضها وفقاً لنظرية الفيض التي قال بها الفارابي.

هذا الارتباط بين المبادئ هو الذي يوجب كونها معلولة بعضها عن بعض وجميعها عن المبدأ الأول. وهكذا ونتيجة لقرب هذا الجرم مما لدينا أو بعده واختلاف أوضاعه تحدث الحركات الكائنة الفاسدة وإلا لما أمكن وجود حركة حادثة عن محرك أزلّي متحرك أزلّي. فالسبب في وجود كائنات فاسدة بالأجزاء أزلية الكل هو وجود موجود أزلّي بالجزء والكل وهو الجرم السماوي (١١٢).

وهكذا فهذه الموجودات الممكنة لما لم يكن لها في أنفسها كفاية في أن تحفظ وجوداتها على أنفسها التي حصلت عليها، ولا أيضاً إن كان لها قسط وجود عند ضدها لم يمكنها من تلقاء أنفسها أن تسعى لاستيفائه، لزم ضرورة أن يكون لكل واحد منها من خارج: فاعل يحركه وينهضه نحو الذي له، وحافظ يحفظ عليه ما حصل له من الوجود.

فالفاعل الذي يحركه، والحافظ الذي يحفظ عليه ما حصل له من الوجود هو الجسم السماوي وأجزاؤه.

وقد بين الفارابي أن الجسم السماوي يفعل ذلك بأوجه مختلفة منها (١١٣):

١ - أنه يحرك بغير توسط وبغير آلة شيئاً منها إلى الصورة التي بها وجوده.

٢ - أنه يعطى المادة قوة تنهض بها من تلقاء نفسها فتتحرك نحو الصورة التي بها وجودها.

٣ - أنه يعطى شيئاً ما قوة فيحرك ذلك الشيء بتلك القوة شيئاً آخر غيره إلى الصورة التي بها وجود ذلك الآخر.

٤ - ومنها أنه يعطى شيئاً ما قوة يعطى بها ذلك الشيء شيئاً آخر قوة يحرك بها ذلك الآخر مادة إلى الصورة التي شأنها أن توجد في المادة، وفي هذا يكون الجسم السماوى قد حرك المادة بتوسط شيئين. وقد يكون للمادة بتوسط ثلاثة أشياء وأكثر على هذا الترتيب.

ولا تنحصر مهمة الجسم السماوى فى تحريك الموجودات الممكنة فحسب، بل يقوم بمهمة حفظ ما حصل لها من الوجود على أوجه أيضاً:

١ - إما أن يجعل مع صورته التى بها وجوده قوة أخرى وذلك مثل المنى للحيوان الذكر فإنه بهذه القوة يفعل من المواد شبيهة فى النوع.

٢ - وإما أن يجعل ما يحفظ به وجوده فى جسم آخر خارج عنه، فيحفظ وجوده بأن يحفظ عليه ذلك الجسم الآخر، فيكون هذا الآخر كالحادام له فى حفظ وجوده. مثال ذلك الأفاعى فإنها آلة للأسطقسات أو الحادام فى أن تنتزع من سائر الحيوان مواد الأسطقسات وذلك بأن تحمل أنواع الحيوان إليها.

فهذه الآلات إن كانت مقترنة بالصورة فى جسم واحد آلات غير مفارقة وإن كانت فى أجسام آخر كانت آلات مفارقة<sup>(١١٤)</sup>.

ولكن لا بد وأن تشير إلى أن تأثيرات الأجسام السماوية لا بد وأن يقابلها ما يظهر من تأثيرات قوى كل نوع من أنواع الموجودات، إذ أن تأثيرات الأجسام السماوية ليست ضرورية بل تجتمع من أفعال آخر قد تضادها وتمنع

فعلها، وهى أفعال الأمور الأرضية الكائنة عن جواهرها من طبائع ونباتات وحيوانات وأفعال إرادية للإنسان. فمثلاً نجد أن الأجسام السماوية قد تفعل فى الأجسام التى تحتها بسخونة أزيد أو أنقص، فتتبع مقادير تلك السخونة فى تلك الأجسام آثار وصور آخر وأعراض آخر تتبع تلك الصور والآثار، ولكن قد يحدث أن يعوقها أفعال آخر طبيعية مضادة لها من ذلك أفعال البخارات الباردة التى تنفق فى الهواء فى ذلك الوقت وأفعال أصناف المياه<sup>(١١٥)</sup>.

وهكذا بعد أن يبين الفارابى ما للأجسام السماوية من تأثيرات فى وجود الأسطقسات وحركتها وحفظها. تسأل هل الأجسام السماوية فيها كفاية فى أن يحصل هذا ذا طبيعة، وذاك نفس وذلك ذا عقل؟؟

يجيب الفارابى على ذلك بأن الأجسام السماوية ليس فيها كفاية دون العقل الفعال فى وجود الموجودات التى يحتوى عليها عالم ما تحت فلك القمر. ويقرر أن العقل الأخير (الفعال) يصير سبباً للنفوس الأرضية من جهة تعقله للأول، وتصير عنه الأسطقسات من جهة ما يعقله من ذاته بتوسط السماوية ومن أمور منبثقة من السماويات يحدث فيها امتزاجات مختلفة تستعد بها لقبول النفوس النباتية والحيوانية والناطقة من العقل الفعال "فالسماوية معدة فقط"<sup>(١١٦)</sup>.

ويفسر ذلك فى شرحه لفلسفة أرسطو طاليس حيث يقول "أنه إلى هاهنا لم يتبين أن الأجسام السماوية أعطت الأجسام الطبيعية سوى الحركة. ولذلك ينبغى أن يفحص أيضاً عن جواهر الأجسام السماوية، هل هى طبيعية أو نفس أو عقل أو شىء آخر أكمل من هذا؟ ولكن هذه أشياء خارجة عن النظر الطبيعى وينبغى أن يفحص عنها بوجه آخر غير النظر الطبيعى"<sup>(١١٧)</sup>.

وبهذا يثبت الفارابى تأثير الأجرام العلوية فى جميع العناصر الأرضية بمعاونة العقل الفعال. وهو من خلال هذا التأثير يرد كل ما يحدث فى العالم إلى أسباب ضرورية تدرك بالفعل.

وإذا كان الفارابي قد وقع في العديد من الأخطاء ناتجة عن التصور القديم للأفلاك السماوية ذلك التصور الذي أصبح في ضوء العلم الحديث لا أساس له .

## خامساً: إثبات كروية الأرض وثباتها في مركز الكون؛

وفقاً لما تذكره كتب الفلسفة القديمة فإن إثبات كروية الأرض لم يكن أمراً سهلاً ميسوراً، خاصة وأن المشاهدة الحسية تدلنا على أن الأرض بسيطة مستوية السطح. وقد كان "انكسيما ندروس" من أوائل الفلاسفة الطبيعيين الذين وضعوا فروضاً علمية توصلوا بها إلى تصور الأرض على شكل أسطوانى أو مخروطى نسبة قمته لقاعدته ٣ : ١، وهى غير مرتكزة على حامل بل معلقة فى الفضاء وبفعل ما يشبه الجاذبية. ثم جاء "فيثاغورث" وأثبت كروية الأرض مستنداً إلى بعض الحجج، منها أن الشكل الهندسى الكامل هو الشكل الكروى لكمال انتظام أجزائه بالنسبة للمركز، ومنها أن الأجرام السماوية بما فيها الأرض لا يمكن تصورهما إلا على هذا الشكل الكامل<sup>(١١٨)</sup>.

أما "أفلاطون" فقد ذكر صراحة فى "طيمائوس" أن العالم كروياً مستديراً كامل الاستدارة، حيث جعل الأرض تجارى شكل الكرة وقد احتلت منه موقع المركز. وقد اعتمد "أرسطو" فى كتابه "السماء والعالم" استنتاجات طيمائوس فأثبت كروية الأرض مستدلاً على ذلك ببعض الحجج والبراهين القائمة على الملاحظة والمشاهدة.

وقد انتقلت هذه الحجج فيما بعد مع غيرها من حجج فلاسفة اليونان إلى العرب فاعتمد الكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم الكثير منها فى إثبات كروية الأرض<sup>(١١٩)</sup>.

فالفارابى على سبيل المثال قد قال بكروية الأرض بناء على كروية العناصر كما فعل أرسطو حيث يقول "وشكل كل واحد من الأربعة على مثل الكرة" ويقول أيضاً "والعالم مركب من بسائط صائرة كرة واحدة"<sup>(١٢٠)</sup> أما

أرسطو فيقول " إذا تركنا جزء من المادة لنفسه فإنه يتهايم بهيئة الكرة وإذا كانت الأرض ساكنة فإن شكلها بالتالى يكون كروياً" (١٢١).

كذلك تابع الفارابى أرسطو فى القول بثبات الأرض وسكونها فى مركز الكون بناءً على المبادئ التى توصل إليها. فهى ساكنة لا حركة لها طالما أن صورتها الطبيعية واحدة وحيزها واحد، كما أنه لا عائق لها عن أن تكون فى حيزها الطبيعى، وأنه " أى الجسم " إن كان بسيطاً اقتضى حيزاً واحداً وشكلاً غير مختلف أجزائه وذلك هو المستدير، ولذلك صار كل واحد من هذه الجواهر ذوات أعظام محدودة وأشكال محدودة وقد تبع ذلك أن يكون المكان الذى لها أفضل الأمكنة حيث يلزم ضرورة أن يكون كل جسم محدود فى مكان محدود (١٢٢).

ويؤكد الفارابى فى عرضه لفلسفة أرسطو طائيس ثبات الأرض فى موضعها، وهو الوسط بحيث لا يمكنها أن تتحرك عن الوسط أى ليس لها بجملتها انتقال عن مكانها ولا فى مكانها، ويستدل على ذلك بحركة العناصر إذ يقول... ويلزم أن تكون الأجسام المتحركة بالحركة المكانية التى أبسط ما تكون ثلاثة: فمتحرك حول الوسط، ومتحرك إلى الوسط، ومتحرك من الوسط " ثم يعقب بقوله " والجسم الذى فى الوسط وهو الأرض تجتمع فيه جميع الأسطقسات على ما ألزمتنا وعلى أن الأمر الذى بين بالمشاهدة" (١٢٣).

وهكذا فالأرض كما يرى الفارابى ثابتة فى الوسط وتدور حولها تسعة أفلاك " والأجسام السماوية كثيرة وهى تتحرك باستدارة حول الأرض أصنافاً من الحركات كثيرة" (١٢٤).

وبذلك يكون الفارابى قد أنكر حركة الأرض حول محورها متابِعاً فى ذلك أرسطو وعنه انتقلت إلى سائر المتكلمين والفلاسفة (١٢٥).

ورغم أن العلم الحديث بنتائجها التي توصل إليها والتي استغرقت قرونًا طويلة قد أثبت خطأ نظرية الفارابي ومن قبله أرسطو، حيث لم تعد الأرض هي مركز العالم لأنها ليست سوى واحدة من الكواكب السيارة العديدة التي تدور حول الشمس، أقول رغم خطأ هذه النظرية من زاوية العلم الحديث إلا أننا لا نكون منصفين إذا أثبتنا خطأ نظريته في ضوء النتائج التي وصل إليها علم الفلك الآن . . . فلم تكن الدراسات التجريبية أو الآلات قد تطورت بهذا الشكل، ولا يمكن القول بأنه بالنسبة لفلاسفة العرب كان يمكنهم سبق عصرهم بقرون عديدة، إذ أن المحاولات التي قام بها العلماء لإثبات حركة الأرض من أيام "كوبرنيكوس" ثم "جاليليو" ثم "نيوتن" باكتشافه قوانين التشاغل العام وأخيرًا فوكهول عام ١٨٥١م بالتجربة التي أجراها في فرنسا والتي انتهت إلى تغيير فكرتنا عن الأرض وأهميتها في النظام الكوني.

أقول هذه المحاولات قد استغرقت الكثير من الوقت والجهد حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن (١٢٦).

## سادساً: العالم واحد متناه:

أثبت الفارابي سابقاً أن عالم الأفلاك يختلف بخصائصه وأحكامه عن عالم الكون والفساد بحيث نجد هذا الاختلاف يتركز بصورة أساسية في عدم التغير والثبات الذي في الأجسام الفلكية، بينما نجد التحول والتغير في الأجسام العنصرية وبحيث ترتب على هذا الفارق أن حركة الفلك اتسمت بأنها الحركة الدائرية لأن مضمونها هو العودة إلى نقطة الانطلاق. من حيث إن حركة الجسم المستديرة هي دورانه على نفسه حول مركزه. فهي لا توجب انتقاله في المكان، كما لا توجب فيه تحولاً كفيلاً. بينما نرى عكس ذلك في العناصر إذ أن حركتها المستقيمة تقتضى الانتقال في المكان والتحول الكمي والكيفي. فهي إذن توجب تغيراً في الأجسام. وقد ترتب على هذا الفارق بين الأجسام الفلكية والأجسام العنصرية الاختلاف بين النوعين في البساطة والتركيب ترتب عليه اختلاف في الشكل بينهما كما أثبتنا.

فتميزت الأولى بالبساطة والشكل الكروي، وتميزت الثانية بالتركيب والأشكال المختلفة من دائرية ومستقيمة، وبينما كانت الأجسام الفلكية حركتها وزمانها "مبدعة" أي أزلية، كانت الأجسام الأرضية وحركاتها وزمانها كائنة فاسدة أي حادثة غير أزلية (١٢٧).

ورغم هذا الاختلاف والتباين الواضح الذي أثبتته الفارابي بين العالمين "العلم العلوي، والعالم السفلي" إلا أنه يؤكد أن العالم واحد ويقول: "لا عالم غير هذه الكثرة المجتمعة من الأجرام السماوية والأسطقسات الأربعة" (١٢٨).

ولقد حاول الفارابي من أجل إثبات هذه الواحدية والاتصال إيجاد روابط بينهما، محاولاً هدم ما كان في الأنظمة الفلسفية المثالية القديمة والوسيطه من فواصل حاسمة بينهما تمثلت في إثباتهم وجود الخلاء، والأجزاء

التي لا تتجزأ ولا نهاية لها وتتحرك في هذا الخلاء بحيث ترتب على قولهم هذا أنه: إذا كانت هذه الأجزاء تتحرك حركات غير محددة، ويعرض عن حركاتها أن تجتمع في احيار لا نهاية لها ولا يمكن إحصائها، فإن اجتماعها هذا يكفى أن يؤدي إلى اتلاف في هيئات وعوالم كثيرة. وبذلك لا يكون العالم واحداً (١٢٩).

رفض الفارابي هذا وأثبت أن العالم واحد بناء على فكرته في المكان الطبيعي للأجسام فهو يذهب إلى أن للسماء الإحاطة، وللأرض الحيز الوسط من الإحاطة، يلي ذلك حيز الماء ثم حيز الهواء ثم حيز النار (١٣٠). وبناء على أن لكل جسم مكانه الطبيعي الذي لا يخرج عنه إلا بالقسر، فلا يمكن أن يكون هناك عنصر ما كالتراب أو الماء مثلاً في عالم ونفس العنصر في عالم آخر، إذ أن هذا يؤدي إلى وجود خلاء بينهما. وهو قد نفى القول بالخلاء. ويكون من الصحيح القول بأن العالم واحد وأن عناصره مرتبة كل منها في موضعه الطبيعي "ويلزم ضرورة أن يكون جسم يتحرك باستدارة محيطاً بسائر الأجسام الأخرى ولا خلاء به أصلاً وأن يكون ما داخل ذلك الجسم أجساماً متصلة ومماسة إذ كان ليس فيما بينها خلاء أصلاً فسمى الجملة التي تحتوى على جميع الأجسام المتصلة أو المماسة العالم" (١٣١).

«كما يثبت الفارابي واحدية العالم بناء على نظريته في مبادئ الموجودات، وإذا أخذنا في اعتبارنا تمييز الفارابي بين الصورة النوعية والصورة الجسمية كما أوضحنا سابقاً، لاتضح لنا مدى الاتصال بين العالمين من جهة الصورة، كما أن هذا الاتصال واضح أيضاً من جهة المادة بعد أن أصبحت تعنى عنده قابلية للتشكل والامتداد بشكل عام سواء كان ذلك في الأجسام الأرضية أو الأجسام الفلكية.

فلم تعد المادة مبهمة كما كانت عند أرسطو بل تحددت بالامتداد الذي

هو أساس التشكل بالصورة الجسمية ويؤكد الفارابي ذلك بقوله "ويشاركه الإنسان في المادة" (١٣٢) أى يشارك الأجسام السماوية فى تكوينه من المادة الأولى، كما بين التشابه بينهما بقوله: "وأن الأجرام السماوية وإن كانت مشاركة للأسطقسات والكائنات فى كون كل واحد منها ذا مادة وصورة، فإن مادة السماويات مخالفة لمادة الأسطقسات والكائنات. كما أن صور تلك مخالفة لصور هذه وأنها تشترك فى الجسمية لأن الأبعاد الثلاثة فيها مفروضة" (١٣٣).

وهكذا تسنى للفارابي إثبات وحدة العالم وعنه انتقلت إلى سائر الفلاسفة الذين جاءوا بعده وخاصة ابن سينا، وابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد إذ نجد عندهم بعض الأفكار التى تكشف عن تأثيرهم بالفارابي الفيلسوف والذى اهتم بالبحث فى الفلسفة الطبيعية وخاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا اطلاعه الواسع على فلسفة أرسطو الطبيعية وأسبقته على هؤلاء الفلاسفة.

\*\*\*

## تعقيب

تبين لنا فيما سبق كيف كان الفارابي مهتماً اهتماماً كبيراً بالبحث في الفلسفة الطبيعية، صحيح أنه كان متأثراً بالفلاسفة الذين سبقوه، أى فلاسفة اليونان، ولكن الصحيح أيضاً أن الفارابي قد وضع بصماته البارزة على مجال الفلسفة الطبيعية. لقد كان مضيئاً تارة، حاذقاً تارة أخرى، وكانت لديه القدرة على الاطلاع على كثير من الآراء، ولكنه أضاف إلى ذلك قدرة كبيرة على الهضم، والاطلاع على العديد من الأفكار، ثم الصهر لهذه الأفكار بحيث تبدو وكأنها لم تكن مجرد نقل عن آراء السابقين ومن هنا تحددت معالم الشخصية الفارابية والمنهج الفارابي فى تناوله لمسائل الطبيعيات وأيضاً لمسائل الإلهيات كما سيتضح لنا فى تناولنا لموضوعات الفلسفة الإلهية.

وقد وضح لنا كيف فسر الفارابي علم "الطبيعة" بمبادئ علم "ما بعد الطبيعة" فتداخلت المجالات الفيزيائية مع المجالات الميتافيزيقية فى أكثر الموضوعات التى تناولها بحيث شاب بعضها الغموض والخلط والاضطراب كأفكاره حول مبادئ الموجودات الطبيعية، وفكرة القوة والفعل وغيرها من الأفكار والمباحث سواء فى المجال الطبيعى أو المجال الإلهى. مما يؤكد لنا أن الميتافيزيقا قد ألفت بظلالها على فلسفة الطبيعة عنده.

ولو كان الفارابي قد أدرك أن العلم الطبيعى لا بد له من بحث الأمور الجوهرية الخاصة به حتى ما يبدو أنه متعلق فى ظاهره بالأمور الإلهية، لكان هذا أجدى وأنفع للعلم الطبيعى، ولتقدم خطوات نحو الاستقلال النسبى عن الفلسفة بمعناها الميتافيزيقى.

ولكن فى ضوء هذه النظرة المتكاملة نحو الفكر الفلسفى فى الإسلام، والنظر إلى الحقيقة الفلسفية على أنها واحدة يصبح من الضرورى بل من

المنطقي التلازم والترابط بين الفلسفة الطبيعية، والفلسفة الإلهية بحيث يؤدي هذا التلازم في نهاية الأمر إلى قيام العلاقة والتداخل بين البدء والنهاية.

وهكذا فمن دراسة الفارابي لمبادئ الموجودات الطبيعية، وبيانه لطبيعة العلاقة بينهما من حيث استحالة تعرى الهيولى عن الصورة والصورة عن الهيولى، وأيضاً استحالة سبق أحدهما للأخرى في الزمان فهما مبدعان ومبدعهما يتقدم الكل بالذات. من ذلك يصل الفارابي إلى إثبات أنهما محدثان بالذات قديمان بالزمان. إذ رأى الفارابي أنهما يفيضان بلا زمان عن العقل العاشر ويتأثير الأفلاك العليا في العالم السفلى. وينتهي من ذلك إلى إثبات قدم العالم أو الحدوث الزماني. وهو في ذلك يفترق عن أرسطو الذي يرى قدم الهيولى والصورة. وبالتالي يثبت قدم العالم ذاتاً وزمناً.

وحين أراد الفارابي إثبات أزلية العالم الأعلى وهو "عالم العقول والأفلاك" أضاف إلى هذا العالم بعض التصورات الميتافيزيقية كإضافته صفة الحركة الدائرية المستمرة له، واعتبار عنصره مادة أثيرية وهي غير خاضعة لكون ولا فساد لأنها مبدعة لهذه الحركة الدائرية بزمان لا أول له ولا آخر. بينما نجده قد سلب هذه الحركة الدائرية عن عالم ما تحت فلك القمر أو العالم السفلى، كما جعل عنصره خاضعة لعوامل الكون والفساد.

وعندما تناول الفارابي موضوع "الحركة" واعتبرها انتقال من حال القوة إلى حال الفعل بحيث يظهر الشيء إلى حيز الوجود. أكد الفارابي أن هذا الإمكان في الانتقال من حال إلى حال عائد إلى عملية واهب الصور وهو "الله" بواسطة العقل الفعال. وهنا يبدو كيف أقحم الفارابي الميتافيزيقا في دراسته لموضوع من موضوعات الطبيعيات مما أدى إلى الخلط والاضطراب وعدم وضوح الرؤية.

ورغم اهتمام الفارابى بنظرية السببية وبيانه العلاقة بين الاسباب ومسبباتها، إلا أنه لم يحاول الاستفادة من هذه النظرية فى تفسير ظواهر الكون، بل نحا بها نحواً ميتافيزيقيا حيث أثبت وجود سبب الاسباب وهو الله (تعالى). ليس هذا فحسب بل إن تركيزه على القول بالعلة الغائية كعلة رابعة من علل الموجودات الطبيعية والوصول من ذلك إلى سبب لهذه الغائية، سرعان ما نجده يعمم أفكار العناية والغائية بحيث يبدو الكون كله مظهرًا لعناية الخالق به، فكان ذلك دليلاً عنده على وجود الله بالإضافة إلى استناده إلى دليل كوني يعتمد على بيان استناد الظواهر الأرضية إلى ظواهر علوية، وفى كل ذلك ما يشهد بوجود إله خالق مسبب لهذا الكون بكل ما فيه.

كما لا يمكننا إنكار أن نظرية "الفيض أو الصدور" رغم أنها تفسر عملية الخلق وظهور الكثرة عن الواحد - وهى من هذه الناحية جزء من مباحث الإلهيات - إلا أن مجال هذه النظرية كما سيتضح لنا يمتد إلى الجانب الرياضى من العلم الطبيعى خاصة ما يتعلق بقضايا الفلك وحركات الكواكب ونفوسها، والتي فسرت بنحو من العقلانية التقليدية فى تناول الفارابى لها. فالنظرية لا يمكن إضافتها إلى العلم الطبيعى فحسب لأنها جزء أساسى من مباحث الإلهيات يبين علاقة الله (تعالى) بالكون.

هذا بالإضافة إلى أن "نظرية الاتصال" التى قال بها الفارابى ورغم أن أبعادها المعرفية والميتافيزيقية واضحة تمام الوضوح نظراً لوجود "العقل الفعال" كمبدأ روحى مستقل موجود خارج الإنسان يولد بتأثيره على الإنسان معرفة جواهر الأشياء، إلا أن نظرية الاتصال عنده تلتحم بنظرته الشاملة عن الكون ما دام هذا العقل الفعال فى مفهومه هو العقل العالمى الذى يعتبر الحلقة الأخيرة من سلسلة فيض العقول الكونية (أو هو عقل عالم ما تحت فلك

القمر عقل الكون والفساد) وفي هذا العقل الكوني تنحصر أشكال أشياء العالم المادى، وبتصال العقل الفعال بالفعل الإنسانى الكامن يكسب الأخير أشكال التفكير لمعرفة جوهر الأشياء. وهذا يعتبر دليل آخر على ارتباط الجانب الطبيعى بالجانب الإلهى فى فلسفته.

فإذا نظرنا إلى مشكلة النبوة التى تعتبر من أخص خصائص مباحث الإلهيات، التى تناولها الفارابى بالبحث والدراسة نجد أنه أقام رأيه فيها على دعائم من علم النفس، إذ أن الفارابى يفسر النبوة تفسيراً سيكولوجياً حيث يجعل الاتصال بالعالم الروحى أو العقل الفعال ميسوراً لمن يملك مخيلة قوية تمكنه من إدراك الحقائق سواء كانت فى صورة الوحى أو الرؤيا الصادقة. كما أنها ميسورة أيضاً لذوى العقول المستنيرة والهمم البارزة، وكلنا يعرف أن المخيلة والعقل هما من قوى النفس الناطقة، وهى من هذه الناحية لها علاقة بالبدن أولها علاقة بأحوال المادة وحركاتها. فهى صورة البدن وحركته وبالتالي فهى جزء من الطبيعيات وقد جعلها من الأقسام التى يهتم ببحثها العلم الطبيعى.

على أن الفارابى فى دراسته للمجالات النفسية قسمها إلى قسمين: قسم يدخل فى المجال الطبيعى يدرس فيه أنواع النفس وكذلك الحواس المختلفة والحس المشترك والتخيل والعقل... إلخ، وقسم آخر هو أقرب إلى مجال الميتافيزيقا يجعل محور دراسته أساساً البرهنة على حقيقة النفس ومصيرها بعد الموت.

وأود أن أشير إلى أن دراستنا للمجالات النفسية هنا لن تكون بصورة موسعة إلا بقدر ما أحتاج إليه فى تفسير أمر من الأمور، كتناولى للعقل ومراتبه حين حديثى عن نظرية الاتصال، وكذلك تناولى للمخيلة كقوة من قوى النفس حين تناولى لموضوع النبوة.

وأخيراً أود أن أشير إلى أن الفارابي وهو أول فيلسوف يتناول هذه المسائل بالبحث والدراسة كان متأثراً إلى أبعد حدود التأثير بظروف عصره، ذلك العصر الذي شاعت فيه نزعة التوفيق والتقريب بين النظريات والخروج من ذلك بمذاهب متوسطة، فظهرت الأشعرية لتوسطها بين أصحاب العقل وأصحاب النقل، وصادفت الشافعية نجاحاً لتوسطها بين الحنفية والمالكية، وجاء الفارابي وبذل جهداً جباراً للجمع والتوفيق بين مذاهب المتقدمين ونظرياتهم المتباينة، ولم يكتف بذلك بل راح يؤكد أن الفلسفة واحدة، وأن الحقيقة الفلسفية غير متعددة مهما تعددت المذاهب وتباينت الآراء، وسواء أكانت الفلسفة طبيعية أم إلهية فإن الهدف واحد وهو: " معرفة الخالق تعالى، وأنه واحد غير متحرك وأنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء وأنه المرتب لهذا العالم بجوده وحكمته وعدله " فلا فرق بين معرفتنا له عن طريق دليل كوني أو عن طريق عقلى منطقي أو عن طريق قلبى إيمانى. فالحقيقة واحدة لأن منبعها واحد.

\*\*\*

## المصادر والمراجع

- ١ - إحصاء العلوم ص ٩٦ .
- ٢ - عيون المسائل ص ٢٥ - ٢٦ .
- ٣ - إحصاء العلوم: ص ٨٥ - ٨٦ (وهذا التقسيم لعلوم الهيئة ليس بنادر عند المتأخرين فنجده مثلاً عند "الأنصارى الكفانى" فى كتاب "إرشاد القاصد إلى أسن المقاصد" غير أن الأنصارى أضاف وجهاً رابعاً إلى الوجوه الثلاثة التى ذكرها الفارابى وهو بيان مقادير أجرام الكواكب وأبعادها ومسافة أفلاكها، وإن كان هذا داخلاً فى الوجه الأول عند الفارابى) كارلونيلىنو. علم الفلك وتاريخه ص ٢٤ .
- ٤ - هذه الرسالة نشرت ضمن كتاب نصوص فلسفية تحقيق د. عثمان أمين ص ٦٠ - ٦١ (ونلاحظ أن الفارابى يلخص فيها رأيه فى الأحكام النجومية بأنها اسم مشترك يقع على ثلاثة أمور لا تشترك إلا فى الاسم. أولها أمور ضرورية موجودة أبداً هى أجرام الكواكب وأبعادها وهو جزء من علم التعاليم، والثانى أمور ممكنة على الأكثر وهى تأثيرات أمكنة الكواكب فى كيفيات الطبيعة الأرضية إذا لم يمنعها مانع كتسخينها مثلاً. وهو جزء من علم الطبيعة، والثالث أمور منسوبة إلى الكواكب بالظن والوضع وبطريقة الاستحسان والحسبان وهذه أمور اتفاقية ليست لها أسباب معلومة ولا سبيل إلى أن تعلم وتضبط ولا تنفع فيها التجارب "انظر أيضاً د. محسن مهدى. التعاليم والتجربة والتنجيم ص ٢٦٦: ص ٢٦٧ (ضمن الفارابى والحضارة الإنسانية).

٥ - التعليقات: ص ٢٢ وانظر أيضاً: كارلونيلىنو. علم الفلك ص ٢٣ - ٢٤.

٦ - د. محسن مهدي: التعاليم والتجربة والتنجم. ص ٢٦٦ (ضمن الفارابى والحضارة).

٧ - د. على سامى النشار: "الأصول الأفلاطونية" فيدون ص ١٩٠ - ١٩١ أفلاطون الجمهورية الكتاب السابع ص ٢٦٦ - ٢٧٤، د. مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند أفلاطون ص ١٣٠، هانز ريشنباخ. نشأة الفلسفة العلمية: ص ٣٨ - ٤٠ ترجمة د. فؤاد زكريا.

٨ - كارلونيلىنو: علم الفلك ص ٢٦٠ - ٢٦١.

٩ - مبادئ الموجودات: ص ٣١، آراء أهل المدينة ص ١٩ وانظر أيضاً "سارتون. تاريخ العلم: ج ٣ ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

١٠ - عيون المسائل: ص ٣٧، الدعاوى القلبية: ص ٧، كارلوتيلينو: علم الفلك ص ٢٦٣، فلوطرخس. الآراء الطبيعية ص ١٢٨ - ١٢٩ (ضمن أرسطو عند العرب).

١١ - فصوص الحكم: ص ٣٧.

١٢ - د. عبد الرحمن بدوى. أفلوطين عند العرب ص ٨٥.

Duhem, Le Systeme du mond, IV, 447.

١٣ - خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية ج ٢ ص ١١٧ - ص ١١٧ - ص ١١٨.

(E.) Gilson, History of Christian Philosophy, P. 197.

- ١٤ - الغزالي: المنفذ من الضلال ص ٢٢.
- ١٥ - الشيخ مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٦٤.
- ١٦ - رسائل الكندي الفلسفية: الرسالة المذكورة ص ٢١٩ - ٢٢٠ وانظر أيضاً رسالة فى أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة ص ٤٥ - ٤٦.
- ١٧ - د. محسن مهدي: التعاليم والتجربة فى التنجيم ص ٢٦٨.
- ١٨ - رسائل إخوان الصفا: الرسالة السابعة ج١ ص ١٩ من القسم الثانى.
- ١٩ - ديلاسى أوليرى: الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ص ١٤٤.
- ٢٠ - المرجع السابق: ص ١٣٥.
- ٢١ - د. عاطف العراقى: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا ص ٢٥٥ وانظر أيضاً: الطوسى: شرح الإشارات والتنبيهات عن القسم الطبيعى ص ٢٨٦.
- (\*) انظر: للمؤلفة (ابن باجة وآراؤه الفلسفية) باب الطبيعيات.
- ٢٢ - د. عاطف العراقى. الميتافيزيقا فى فلسفة ابن طفيل ص ٨١.
- ٢٣ - عيون المسائل ص ٢٥ - ٢٨ وانظر أيضاً د. عاطف العراقى: الميتافيزيقا فى فلسفة ابن طفيل ص ١٠١ - ١٠٢.
- ٢٤ - ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة ج٢ ص ٨٨٥ - ٨٨٦.
- ٢٥ - د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد ص ٢١٣ - ٢٢٤.

٢٦ - موسى بن ميمون: دلالة الحائرين ج١ ص ١٨٧ - ١٨٨ ،  
الفارابي آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٥٣ ، انظر أيضاً د. جعفر آل  
ياسين . فيلسوفان رائدان ص ١٨٣ ، عبد المجيد الغنوشي : الأسس  
النشكونية ص ١٠٣ - ١٠٤ (ضمن الفارابي والحضارة الإنسانية .

(\*) نلاحظ أن الفارابي وضع المادة أو الهيولى ضمن موجودات العالم  
العقلي . وهذا يدل على أن الهيولى هنا هي هيولى أولي أو هيولى  
كلية لكل أنواع المواد وكأنها فكرة عن الهيولى بوجه عام ، وليست  
الهيولى المتشخصة المتعينة . وهنا تبدو نزعته التوفيقية بين أفلاطون  
وأرسطو في فكرتهما عن الهيولى الأولى أو عن المادة القابلة على  
التوالى .

٢٧ - الفارابي : مبادئ الموجودات ص ٣١ ، عيون المسائل : ص ٢٤ ،  
د. عاطف العراقي : ثورة العقل ص ١٠٩ - ١١٢ . دى بور : تاريخ  
الفلسفة فى الإسلام ص ١٦٣ - ١٦٥ .

٢٨ - مبادئ الموجودات : ص ٣١ - ٣٢ رسالة زينون : ص ٦ ، آراء  
أهل المدينة الفاضلة : ص ٢٤ - ٢٥ ، د. محمد البهى الجانب  
الإلهي من التفكير الإسلامى هامش ص ٢٤٠ ، د. جعفر آل  
ياسين . فيلسوفان رائدان ص ١٧٧ .

٢٩ - مبادئ الموجودات : ص ٣١ ، د. عاطف العراقي : ثورة العقل  
ص ١١٠ - ١١١ .

٣٠ - مبادئ الموجودات : ص ٥٨ .

٣١ - د. ماجد فخري : الفكر الأخلاقي العربى ج٢ ص ٨٠ .

٣٢ - الفارابي : فلسفة أرسطو طاليس ص ٩٩ - ١٠٠ .

- ٣٣ - د. جعفر آل ياسين: فيلسوفان رائدان ص ١٧٧ .
- ٣٤ - الفارابي: فصول منتزعة ص ٧٨ .
- ٣٥ - مبادئ الموجودات: ص ٣٣ - ٣٤ .
- ٣٦ - المرجع السابق: ص ٤١ .
- ٣٧ - آراء أهل المدينة: ص ٣٣ .
- ٣٨ - أرسطو طاليس في السماء والعالم: ص ١٣٤، د. عبد الرحمن مرجبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: ص ١٧٤ - ١٧٦ .
- ٣٩ - مبادئ الموجودات: ص ٦٥ وانظر أيضاً موسى بن ميمون: دلالة الحائرين ج ٢ ص ٢٦٠ .
- ٤٠ - مبادئ الموجودات: ص ٤٢ .
- ٤١ - الدعاوى القلبية: ص ٨، عيون المسائل: ص ٢٨ وانظر أيضاً ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة ص ١٢٨ .
- ٤٢ - التعليقات: ص ١٥ .
- ٤٣ - مبادئ الموجودات: ص ٥٥ .
- ٤٤ - المرجع السابق: ص ٥٥ - ٥٦ .
- ٤٥ - الدعاوى القلبية: ص ٨، عيون المسائل: ص ٢٨ .
- ٤٦ - التعليقات: ص ١٤ .
- ٤٧ - فلسفة أرسطو طاليس: ص ١٠٥ وأيضاً .

(E.) Gilson, History of Christian Philosophy, P. 197.

- ٤٨ - الدعاوى القلبية: ص ٨.
- ٤٩ - عيون المسائل: ص ٢٦.
- ٥٠ - رسالة للفارابي في الرد على يحيى النحوى: ص ١٠٨ - ١٠٩.
- ٥١ - آراء أهل المدينة: ص ٥ وأيضاً ص ٢٦، رسالة في الرد على يحيى النحوى: ص ١٠٨.
- ٥٢ - آراء أهل المدينة: ص ٩.
- ٥٣ - الدعاوى القلبية: ص ٧، عيون المسائل: ص ٢٧.
- ٥٤ - الدعاوى القلبية: ص ٧.
- ٥٥ - المرجع السابق ص ٨، عيون المسائل: ص ٢٨.
- ٥٦ - ابن سينا: الشفاء. الطبيعيات. ن ٢ م ١ ف ١ ص ١٦٢ وانظر أيضاً د. عاطف العراقي: الفلسفة الطبيعية ص ٣٦٠.
- ٥٧ - عيون المسائل: ص ٢٨.
- ٥٨ - الدعاوى القلبية: ص ٨.
- ٥٩ - آراء أهل المدينة: ص ٣٧.
- ٦٠ - التعليقات: ص ٢١.
- ٦١ - الدعاوى القلبية: ص ٧.
- ٦٢ - آراء أهل المدينة: ص ٣٥.
- ٦٣ - مبادئ الموجودات: ص ٥٦، آراء أهل المدينة: ص ٣٤ - ٣٥.
- ٦٤ - آراء أهل المدينة: ص ٣٦.
- ٦٥ - التعليقات: ص ١٥.

- ٦٦ - إثبات المفارقات: ص ٦ .
- ٦٧ - أرسطو طاليس فى السماء والآثار العلوية: ص ١٩٥ .
- ٦٨ - الدعوى القلبية: ص ٦ وانظر أيضاً عيون المسائل: ص ٢٨ ود .  
عاطف العراقى، الفلسفة الطبيعية: ص ٣٦٢ .
- ٦٩ - مبادئ الموجودات: ص ٣٤ .
- ٧٠ - ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة ص ١٣٦ .
- ٧١ - آراء أهل المدينة: ص ٣٣ .
- ٧٢ - المرجع السابق: وانظر أيضاً ابن سينا: رسالة فى الأجرام العلوية  
ص ٥٦ .
- ٧٣ - رسالة الفارابى فى الرد على يحيى النحوى: ص ١١٠ .
- ٧٤ - جواب مسائل شتل عنها: ص ٦٥ وانظر أيضاً أرسطو فى السماء  
والآثار العلوية ص ١٧٧ .
- ٧٥ - التعليقات: ص ٨ - ٩ .
- ٧٦ - رسالة للفارابى فى الرد على يحيى النحوى: ص ١١١ .
- (\*) الأسطقس: لفظ يونانى بمعنى الأصل أو العنصر البسيط الذى  
تتألف منه الأجسام المركبة كالحجارة والجذوع التى منها يتركب  
القصر، وكالحروف التى يتركب منها الكلام، وكالواحد الذى منه  
يتركب العدد. والأسطقسات الأربعة عند القدماء هى: النار - الماء  
- الأرض - الهواء. وتسمى أيضاً العناصر "انظر. الشريف  
الجرجاني: التعريفات ص ٢١، أيضاً ابن رشد: تلخيص ما بعد  
الطبيعة ص ٣١ .

- ٧٧ - فلسفة أرسطو طاليس: ص ٩٩ وأيضاً إحصاء العلوم: ص ٩٦.
- ٧٨ - مبادئ الموجوداتك ص ٥٨.
- ٧٩ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص ٢٧ - ٢٨.
- ٨٠ - عيون المسائل: ص ٢٨.
- ٨١ - الدعاوى القلبية: ص ٩.
- ٨٢ - عيون المسائل: ص ٢٨.
- ٨٣ - الدعاوى القلبية: وولتر ستيس تاريخ الفلسفة اليونانية.  
ص ٢٤٢، ص ٢٤٣.
- ٨٤ - عيون المسائل: ص ٢٨، الدعاوى القلبية: ص ٨.
- ٨٥ - رسالة الفارابي في الرد على يحيى النحوى: ص ١١١ - ١١٢.
- ٨٦ - المرجع السابق: ص ١١٢ - ١١٣.
- ٨٧ - رسالة الفارابي في الرد على يحيى النحوى: ص ١١٣.
- ٨٨ - موسى بن ميمون: دلالة الحائرين ج ١ ص ١٨٦ - ١٨٧.
- ٨٩ - الدعاوى القلبية: ص ٨.
- ٩٠ - رسالة الفارابي في الرد على جالينوس: ص ٤٤ - ٤٥.
- ٩١ - جواب مسائل سئل عنها: ص ٥٢.
- ٩٢ - الدعاوى القلبية: ص ٩.
- ٩٣ - جواب مسائل سئل عنها: ص ٥٨.
- ٩٤ - عيون المسائل: ص ٢٨ - ٢٩، الدعاوى القلبية: ص ٩.
- ٩٥ - عيون المسائل: ص ٢٨.

٩٦ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص ٣٨.

٩٧ - المرجع السابق: ص ٣٩ - ٤٠.

٩٨ - الدعوى القلبية: ص ٥.

٩٩ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص ٤٠.

١٠٠ - الدعوى القلبية: ص ٩.

١٠١ - آراء أهل المدينة: ص ٤٧.

١٠٢ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص ٤٣. وقد حاول بعض الباحثين

المحدثين تفسير منذهب الفارابي في الكون والفساد تفسيراً مادياً

بحيث يعتمد على أن التغيرات التي تحدث في العالم الأرضي

تحدث وفق مبدأ الصراع بين المتناقضات من الموجودات معتمداً على

قانون دياكتيكي مستطور. بحيث يعتقد بديمومة وجود المادة

الأساسية التي انبثقت عنها الأجسام المتغيرة، وأن هذا التغير يتم

بعيداً عن تأثير العلة الأولى، حيث إن بقاء المادة وتجدد وجودها

وتحولها وامتدادها وتطورها ليس مرده الإرادة الإلهية، بل قانون

ديالكتيك العلاقة الداخلية بين المادة والصورة. وأن المادة أزلية لأنها

منذ الأزل متحركة ضمن عملية ذاتية مستمرة تنتقل من حلقة إلى

حلقة حتى وجود العالم الطبيعي. انظر: على حسين حسن

الجابري. قراءة معاصرة لمدينة الفارابي الفاضلة. مجلة زانكو

العلمية العدد ٣ ص ٢ - ٦ وانظر أيضاً حسين مروه: النزعات المادية

في الفلسفة الغربية الإسلامية ج ٢ ص ٥٠١ - ٥٠٤."

وفي حقيقة الأمر: فإننا لسنا ضد حركة تحديث الفكر

الإسلامي ولكننا ضد إسقاط الأفكار والنظريات الحديثة والمعاصرة

على أفكار العصور الوسطى ونظرياتها، ومن الخطأ أن نؤول أفكار الفارابي ونظرياته بحيث تظهر كأفكار حديثة لأن الكثير من أفكاره قد لا يكون لها في ذهنه ما تحمله من دلالات في عصرنا الحديث، ومن هنا كانت تلك المحاولة خاطئة في دعائها وأهدافها.

١٠٣ - جواب مسائل سئل عنها: ص ٥٢ .

١٠٤ - مبادئ الموجودات: ص ٥٨ .

١٠٥ - التعليقات: ص ٣ .

١٠٦ - الحروف ص ١٢٢ .

١٠٧ - رسالة الفارابي في الرد على جالينوس: ص ٤٤ - ٤٥ وانظر

أيضاً ابن سينا: الشفاء الطبيعيات: ن ٣١ ف ٤ ص ١٩٨ انظر أيضاً

د. عاطف العراقي: الفلسفة الطبيعية: ص ٣٧٧ - ص ٣٨٦ .

١٠٨ - عيون المسائل: ص ٢٥ - ٢٦ .

١٠٩ - مبادئ الموجودات: ص ٥٥ - ٥٦، آراء أهل المدينة: ص ٣٥ -

٣٦ .

١١٠ - آراء أهل المدينة: ص ٢٠ .

١١١ - مبادئ الموجودات: ص ٥٤ - ٦٠ .

١١٢ - المرجع السابق: ص ٥٥ - ٥٦ وأيضاً رسالة رينون: ص ٦ .

١١٣ - مبادئ الموجودات: ص ٦٠ - ٦١ .

١١٤ - مبادئ الموجودات: ص ٦١ - ٦٢، آراء أهل المدينة: ص ٤٦ .

١١٥ - الجهة التي يصح عليها القول في أحكام النجوم: ص ٢٧٥ -

٢٧٦ (ضمن الفارابي والحضارة) وانظر أيضاً تلخيص ما بعد

الطبيعة لابن رشد: ص ٥٥ .

- ١١٦ - الدعاوى القلبية: ص ٥.
- ١١٧ - فلسفة أرسطو طاليس: ص ١٣٠ - ص ١٣٣.
- ١١٨ - كارلونيلىنو: علم الفلك وتاريخه ص ٢٦٠ - ٢٦١ انظر أيضاً  
د. الألوسى " من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان ص ٢٦ -  
٢٧.
- ١١٩ - كارلونيلىنو: علم الفلك وتاريخه ص ٢٦٣، وللكندى رسالة فى  
هذا الموضوع بعنوان "رسالة الكندى إلى أحمد بن المعتصم فى أن  
العناصر والجرم الأقصى كرية الشكل" انظر. رسائل الكندى  
الفلسفية د. عبد الهادى أبو ريذة: ص ٤٧ - ٥٣.
- ١٢٠ - عيون المسائل: ص ٢٧، والدعاوى القلبية: ص ٧ وانظر أيضاً  
د. عبد الرحمن مرجبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة  
الإسلامية: ص ١٣٢.
- ١٢١ - كارلونيلىنو: علم الفلك وتاريخه ص ٢٦٣، أرسطو فى السماء  
والآثار العلوية ص ٢٩٦ - ٢٩٧.
- ١٢٢ - مبادئ الموجودات: ص ٥٤ن الدعاوى القلبية: ص ٦، انظر  
أيضاً الإيجى: المواقف ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩. وكذلك  
كارلونيلىنو: علم الفلك وتاريخه ص ٣٣٦، د. توفيق الطويل:  
قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ١٦٣.
- ١٢٣ - فلسفة أرسطو طاليس: ص ٩٨ - ١٠٦ وانظر أيضاً إحصاء  
العلوم ص ٨٦.

١٢٤ - مبادئ الموجودات: ص ٥٥ وأيضاً خليل الجبر: تاريخ الفلسفة العربية ج٢ ص ١١٧ .

١٢٥ - انظر ابن سينا. الشفاء: الطبيعيات ن م١. ف ٧ ص ١٧٨ - ١٨٨، وانظر أيضاً الإيجي: المواقف ج٢ ص ١٤٨ - ١٤٩: حيث يذكر ثلاثة حجج يستدل بها على ثبات الأرض في مركز الكون.

١٢٦ - كارلونيلىنو: علم الفلك وتاريخه ص ٢٥٣ - ٢٥٤، انظر أيضاً ديكستر هوز. تاريخ العلم والتكنولوجية: ص ١٨٦: ص ١٩٩ .

١٢٧ - التعليقات: ص ٨ - ٩ وأيضاً جواب مسائل سئل عنها: ص ٥٢ .

١٢٨ - الدعوى القلبية: ص ٥ .

١٢٩ - د. أحمد صبحى: دراسة فلسفية فى أصول الدين ج١ ص ٢٧٧ وأيضاً ص ٥١٨ .

١٣٠ - مبادئ الموجودات: ص ٥٥ - ٥٦ .

١٣١ - فلسفة أرسطو طاليس: ص ٩٨ .

١٣٢ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص ٣٣ .

١٣٣ - الدعوى القلبية: ص ٦، عيون المسائل: ص ٢٦ .

\*\*\*